وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ

العلاقات التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية المغاربية (المغرب الأقصى –الجزائر-طرابلس الغرب) خلال القرن 18م/12هـ – وبداية القرن 19م/13هـ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:
غريزو الزهراء

اشراف الدكتور:
صالح بوسليم

اسم ولقب المناقش	الصفة	الجامعة
دة/ربيعة قريزة	رئيسا	جامعة غرداية
د/ صالح بوسليم	مشرفا ومقررا	جامعة غرداية
د/ احمد جعفري	مناقشا	جامعة غرداية

الموسم الجامعي 1441.1440 هـ/2019-2020م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ

العلاقات التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية المغاربية (المغرب الأقصى –الجزائر-طرابلس الغرب) خلال القرن 18م/12هـ – وبداية القرن 19م/13هـ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:
غريزو الزهراء

اشراف الدكتور:
صالح بوساليم

اسم ولقب المناقش	الصفة	الجامعة
دة/ربيعة قريزة	رئيسا	جامعة غرداية
د/ صالح بوساليم	مشرفا ومقررا	جامعة غرداية
د/ أحمد جعفري	مناقشا	جامعة غرداية

الموسم الجامعي 1441.1440 هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

(ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ)

الاهداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة خير الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى روح أستاذي **أحمد ميموني** تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته.

إلى من أرضعتني الحب والحنان إلى ينبوع الصبر والتفاءل والأمل إلى من كان دعاءها سر نجاحي **"أمي"** الفاضلة حفظها الله وبارك في عمرها.

إلى من أحمل إسمه بكل فخر" **أبي**" الغالي حفظه الله ورعاه وبارك في عمره.

إلى **"أخواتي"** كل بإسمه حفظهم الله ورعاهم

إلى" **زوجات أخواتي**" حفظهم الله ورعاهم.

إلى أبناء وبنات أخواتي حفظهم الله ورعاهم وجعلهم من حفظة كتابه الكريم.

إلى أخوالي و أعمامي وأبنائهم حفظهم الله ورعاهم .

- إلى كل من يحمل لقب غريزو و رقاي.

- إلى من تقاسمت معها المرة والحلوة إلى صديقتي وأختي الغالية **"شمالي الزهراء"**

إلى من تشرفت بكوني يوما من طلبتهم وشربت القليل من علمهم وإستفدت الكثير منهم إلى كل من علمني حرفا طوال مشواري الدراسي **"أساتذتي الأفاضل"**.

إلى كل الأصدقاء والزملاء.

إلى زملائي طلبة قسم تاريخ المغرب العربي الحديث بجامعة غرداية

إلى زملائي طلبة قسم تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء بالمركز الجامعي تمنغست .

إلى كل باحث في التاريخ إلى كل من فتح مذكرتي يوما من بعدي

------إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي ---- **غريزو الزهراء**

شكر وتقدير

قال الله تعالى " ...رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ" سورة النمل،الأية 19.

الشكر لله سبحانه وتعالى الذي وفقني على إنجاز هذا البحث.

كما أتوجه بجزيل الشكر والإمتنان إلى أستاذي المشرف :**د/"صالح بوساليم"** على قبوله الإشراف على مذكرتي ،وعلى مساعدته و توجهاته ونصائحه وعلى تتبعه المستمر لموضوعي و على التصويبات التي قدمها لي ،جزاه الله عنا خير الجزاء وأدامه للعلم ذخرا.

كما أتوجه بالشكر إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على ما يبذلونه من جهد في قراءة هذا البحث لتصويبه وإثراءه بنصائحهم وتوجيهاتهم.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الزميل والأخ محمد بلكبير محمد الذي ساعدني على ضبط المذكرة وإخراجها إلى النور.

كما أشكر مكتب شركة تولاغ للخدمات على استقبالهم لي أثناء ضبط المذكرة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم ولو بكلمة طيبة أو بكتاب في تقديم يد المساعدة في هذا البحث بداية بالأساتذة: جعفري أحمد، كديدة محمد مبارك ، هقاري محمد ، بومدين عائشة ، بوبكر محمد السعيد، لكحل الشيخ .

إضافة إلى الزملاء: محمد علوي سهام، الداي بوخامي،لفتاح ادريس ،حسن حاج عصمان، توجي لحسن، ترمزي محمد:الذين كانوا سبب في نجاحي بنصائحهم وتوجهاتهم وزرعوا في نفسي روح البحث والتشجيع والمثابرة في اتمامه.

كما أتوجه بتشكراتي الخاصة إلى كل من: أساتذتي بقسم التاريخ بالمركز الجامعي تمنغست .وأساتذتي بقسم التاريخ بجامعة غرداية

وإلى كل أساتذتي في كل الأطوار التعليمية.

و إلى كل من قدم لي يد المساعدة ولو بدعاء **غريزو الزهراء**

1- بالعربية:

هـ	هجري
م	ميلادي
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
ط خ	طبعة خاصة
د دن	دون دار النشر
د م ن	دون مكان النشر
دت	دون تاريخ الطبع
ج	الجزء
مج	مجلد
ع	العدد
تح	تحقيق
تر	ترجمة
مرا	مراجعة
تق	تقديم
تع	تعريب
ص	الصفحة

2- الأجنبية:

P page	
Op.cit ;	المرجع السابق

مقدمـــــــــة

مقدمة

أدّت المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والجزائر وطرابلس الغرب منذ تأسيسها إلى غاية القرن 19م دورا بارزا في تجارة القوافل الصحراوية ،باعتبارها مراكز تجارية وهمزة وصل بين مناطق الشمال وأفريقيا جنوب الصحراء ،ومحطات استراحة لقوافل الحج المتجهة إلى الأراضي المقدسة التي تتوقف فيها للاستراحة أو للتزود بالبضائع ، ونظرا لأهمية التجارية لهذه الحواضر فقد عرفت إقبالا كبيرا من طرف التجار من مختلف الجهات ،ونتيجة لهذه الأهمية أخترت عنوانا لهذه المذكرة موسوماً بـ :"**العلاقات التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية المغاربية (المغرب الأقصى– الجزائر– طرابلس الغرب) خلال القرن 12هـ/18م وبداية القرن13هـ/19م**".

– دوافع اختيار الموضوع:

هناك عدّة أسباب دفعتني لدراسة هذا الموضوع والتي منها:

– الرغبة في معرفة النشاط التجاري داخل المدن والحواضر الصحراوية المغاربية ؛

– محاولة تسليط الضوء على تاريخ هذه الحواضر وأهميتها التجارية خاصة في الفترة الحديثة؛

– ميلي لدراسة موضوع القوافل التجارية وحركيتها؛

– قلّة الدراسات التي تطرقت للموضوع؛

– الرغبة من خلال هذا البحث للمساهمة ولو بقليل في إثراء المكتبة الجامعية وكذا المكتبة التاريخية الوطنية.

– الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور المدن والحواضر الصحراوية المغاربية في تجارة القوافل الصحراوية ومحاولة معرفة العلاقات التجارية بين هذه الحواضر ،وإبراز الدور الحضاري للقوافل التجارية على هذه الحواضر.

– الإطار الزماني والمكاني:

يمتد الإطار الزماني للموضوع من القرن الثامن عشر الميلادي إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي،حيث يمثل القرن الثامن عشر الميلادي هنا ذروة ما وصلت إليه بعض هذه المدن والحواضر الصحراوية اقتصاديا وحضاريا كتوات وغدامس. أما بداية القرن التاسع عشر الميلادي، فيمثل فترة التحولات الجذرية بالنسبة للنشاط التجاري داخل هذه الحواضر نظرا لظهور الأطماع الأوروبية في صحراء شمال أفريقيا لتعرف على أهم الطرق التجارية ،مما أدى إلى تغير مسار هذه الطرق وبالتالي تراجع الدور التجاري لهذه الحواضر.

أما بالنسبة للإطار المكاني للموضوع ؛ فيشمل المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والجزائر وطرابلس الغرب.

– إشكالية البحث:

تتمثل الإشكالية الرئيسية لهذا البحث في محاولة بناء صورة عن العلاقات التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والجزائر وطرابلس الغرب ،انطلاقا من الوسيلة الأساسية لعملية التبادل التجاري المتمثلة في القوافل التجارية؟.

وقد تفرعت من هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات التي سأحاول الإجابة عنها في المتن وهي:

– ماهي أهم المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والجزائر وطرابلس الغرب ؟.

– ماهي أهم أنواع القوافل التجارية التي كان تجوب بلاد المغرب العربي ؟وهل كانت تسير وفق نظام معين؟.

– ماهي الصعوبات والعوائق التي كان تتعرض لها ؟.

– ما هو دور القبائل الصحراوية في تجارة القوافل الصحراوية؟.

– ماهي أهم الحلول والإجراءات المتخذة ضد الصعوبات التي كانت تواجهها القوافل؟.

– ماهي أهم الطرق والمسالك التي كان تسلكها القوافل بين هذه الحواضر الصحراوية؟.

– كيف كانت المبادلات التجارية بين هذه المدن والحواضر؟.

– ماهي أهم الأسواق التجارية التي ساهمت في المبادلات التجارية بين هذه الحواضر؟.

– ماهي أساليب التعامل التجاري داخل هذه الأسواق؟.

– وماهي السلع والبضائع المتبادلة بين المدن والحواضر الصحراوية المغاربية؟.

– ماهو أثر القوافل التجارية على هذه المدن والحواضر؟. وهل كانت هناك آثار اقتصادية فقط؟ أم تعدتها إلى جوانب أخرى؟.

– الدراسات السابقة:

هناك بعض الأبحاث والدراسات العربية والأجنبية التي تناولت جوانب من الموضوع، وهنا سأقف على بعض المراجع والمذكرات التي تناولت جوانب متفرقة من هذا الموضوع، ومن هذه المذكرات والرسائل الجامعية التي كانت سند لي في دراسة هذا الموضوع، نذكر:

1–مذكرة الماجستير بعنوان: "**الطرق التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11–12هـ/17–18م" للباحث رشيد حفيان**، والتي نوقشت في 2013–2014م بقسم التاريخ ،جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، والتي تحدث فيها صاحبها عن أنواع القوافل التجارية وأهم مسالكها، إضافة إلى الأثار الحضارية لهذه القوافل على الحواضر المغاربية.

2–مذكرة الماجستير بعنوان: **"حاضرة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي 1591–1883م " من إعداد الباحث أحمد ذكار**، والتي نوقشت في سنة 2009–2010م بقسم التاريخ بجامعة ادرار ،والتي تناولت دور حاضرة ورقلة في تجارة القوافل الصحراوية .

3–مذكرة ماجستير بعنوان :**مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي للطالبة بلخضر نفيسة** ،والتي نوقشت في سنة 2015–2016م بقسم العلوم الإنسانية جامعة غرداية ،والتي تناولت تاريخ حاضرة ورقلة منذ التأسيس إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي ودورها في تجارة القوافل الصحراوية.

4–أطروحة دكتوراه بعنوان :**تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء في الفترة مابين600–1164هـ/1203/1750م للباحثة: فاطمة علي إمحمد أحويلات**، والتي نوقشت في 2016م، والتي تناولت العلاقات التجارية بين طرابلس وأفريقيا جنوب الصحراء

،وأهم اثر القوافل التجارية على الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية بين طرابلس وأفريقيا جنوب الصحراء، وقد تطرقت إلى دور بعض الحواضر الصحراوية الليبية في تجارة القوافل الصحراوية.

إضافة إلى بعض المراجع منها:

1 –كتاب التجارة الخارجية للشرق الجزائري ما بين 1792–1830م للدكتور محمد العربي الزبيري ويعتبر هذا الكتاب مرجع ،وقد تحدث عن النشاط التجاري في المناطق الصحراوية للشرق الجزائري ،كما تناول المبادلات التجارية بين هذه المناطق وبين المناطق الصحراوية بالمغرب الأقصى والمناطق الصحراوية الليبية.

2–كتاب إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين12–13هـ/18–19م للدكتور بوسليم صالح، ويعتبر هذا الكتاب مرجع ، وقد سلط الضوء على دور حاضرة توات في تجارة القوافل الصحراوية وعلاقتها بالحواضر المغاربية الأخرى.

3**– كتاب مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي لمؤلفه:نجمي رجب ضياف،** وهو مرجع تحدث نشأة مدينة غات التطور التاريخي لها، ودورها في تجارة القوافل الصحراووية.

- **المنهج المتبع في الدراسة:**

أما عن المنهج الذي اعتمدت علية لدراسة هذا الموضوع؛ فهو المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على رصد وتتبع الأحداث التاريخية ،كما اعتمدت على المنهج الإحصائي من خلال إدراج بعض الجداول التي تضمنت أهم الصادرات والواردات لهذه الحواضر.

- **خطة البحث:**

وقد قسّمت هذه الدراسة إلى مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة.

الفصل التمهيد الذي عنونته بـ: التعريف بأهم المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والجزائر وطرابلس الغرب ،حيث قسمته إلى ثلاث عناصر :**الأول تطرقت فيه:** إلى التعريف بأهم المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى ،**والثاني :تطرقت فيه** :إلى التعريف بأهم المدن والحواضر

الصحراوية الجزائرية ،**والثالث تطرقت فيه** :إلى التعريف بأهم المدن والحواضر الصحراوية بطرابلس الغرب ،وخلاصة الفصل.

أما الفصل الأول فعنونته بـ: القوافل التجارية الصحراوية في بلاد المغرب العربي وأهم مسالكها بين الحواضر الصحراوية المغاربية. وقد قسمته إلى ثلاث مباحث، **المبحث الأول** :تطرقت فيه إلى القافلة وتنظيمها ، **المبحث الثاني** :تطرقت فيه إلى المخاطر والصعوبات التي تواجه القوافل ودور القبائل الصحراوية في تجارة القوافل الصحراوية والإجراءات المتخذة ضد المخاطر. **والمبحث الثالث** :تطرقت فيه إلى أهم الطرق والمسالك التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية المغاربية. وفي الأخير تناولت خلاصة للفصل.

أما الفصل الثاني فقد عنونته بـ: المبادلات التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية المغاربية ،وقد قسمته إلى ثلاث مباحث ،**المبحث الأول** :تطرقت فيه إلى أهم الأسواق التجارية ،**المبحث الثاني** :تطرقت فيه إلى أساليب التعامل التجاري داخل هذه الأسواق ،**المبحث الثالث** :تطرقت فيه إلى أهم السلع والبضائع المتبادلة بين هذه الحواضر ،وفي الأخير تطرقت إلى خلاصة للفصل .

أما الفصل الثالث فعنونته بـ :الآثار الحضارية للقوافل التجارية على المدن والحواضر الصحراوية المغاربية،وقد قسمته إلى ثلاث مباحث ،**المبحث الأول**: تطرقت فيه إلى الأثار الاقتصادية ،**المبحث الثاني** :تطرقت فيه إلى الأثار الثقافية ،**المبحث الثالث**: تطرقت فيه إلى الأثار العمرانية، وأخير تطرقت إلى خلاصة للفصل. وتضمنت في خاتمة الدراسة أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها حول الموضوع.

– التعريف بأهم المصادر والمراجع الخاصة بالموضوع:

1–المصادر:

1–كتاب وصف أفريقيا لحسن الوزان ،ترجمة :محمد حجي ومحمد الأخضر ،ط2،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، لبنان، الجزء الثاني ، وهو كتاب يتحدث عن أحداث القرن السادس عشر الميلادي ،وقد أفادني في التعريف بأهم الحواضر الصحراوية المغاربية.

2– **كتاب الرحلة العياشية 1661–1663م لعبد الله محمد العياشي ،تحقيق :سعيد الفاضلي وسليمان القرشي ،ط1،دار السويد للنشر والتوزيع ،أبوظبي ،2006م،مج1**، وقد زار مؤلفها بعض الحواضر الصحراوية المغاربية أثناء رحلته للحج في القرن السابع عشر الميلادي ،وقد اعتمدت عليه في معرفة الحياة الاقتصادية والنشاط التجاري في أهم هذه الحواضر كتوات وورقلة وبسكرة ..،إضافة إلى الطرق التجارية التي كانت تربط الحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والحواضر الصحراوية الجزائرية.

3– **كتاب الرحلة الناصرية 1709–1710م ،تحقيق وتقديم :عبد الحفيظ ملوكي ،ط1،دار السويد للنشر والتوزيع ،أبوظبي ،2011م،لمؤلفها أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي**، وهو رحلة حجازية قام بها مؤلفها في القرن الثامن عشر الميلادي ، وقد مر في طريقه بالعديد من المناطق الصحراوية وقدم لنا معلومات مهمة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في هذه المناطق ،وقد استفدت منه كثيرا في معرفة العوائق والمشاكل التي كانت تعترض قوافل الحج المغربية كالسرقة والنهب من قطاع الطرق ،إضافة إلى انعدام الماء في الطريق.

4– **كتاب الرحلة الحجازية 1189هـ،تعليق:عبد العالي لمدبر،ط1،مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث ،الرباط، المغرب ،1432هـ/2011م، لمؤلفها عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي**، وهو رحلة حجازية قام بها مؤلفها في القرن الثامن عشر الميلادي ،حيث مر في طريقه بالعديد من المناطق الصحراوية في المغرب الأقصى والجزائر وقدم معلومات مهمة عن هذه المناطق كمنطقة عين ماضي والأغواط وغيرها وقد استفدت منه لمعرفة أهم المشاكل والعوائق التي تعترض القوافل في طريقها كالتيه في الصحراء والسرقة والاختلاس وقلة الماء.

5- **رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال أفريقيا والسودان والدرعية،ترجمة وتحقيق :أبوالقاسم سعد الله ،المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011م، لمؤلفه الأغواطي**، وهي رحلة قام بها مؤلفها خلال القرن التاسع عشر الميلادي في شمال أفريقيا وبلاد السودان ،وقد تناولت هذه الرحلة معلومات اقتصادية واجتماعية وجغرافية عن أهم المناطق التي زارها كالأغواط وورقلة وتقرت وغدامس ووادي ميزاب وتوات ...الخ. وقد اعتمدت عليه في معرفة النشاط التجاري داخل هذه المناطق و أهم الطرق التجارية التي كانت تربطها.

6- **كتاب الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية أواسط القرن 19م ،ترجمة وتقديم: ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني ،دار البصائر الجديدة ،الجزائر ،2019م،** ويمثل هذا الكتاب أهم التقارير التي قدمها الأجانب عن الواحات الصحراوية والطرق التجارية المؤدية لها من خلال الرحلات التي قاموا بها بهدف استكشاف الصحراء وحركة القوافل التجارية في الصحراء ،وقد كانت فترة هذه الرحلات الاستكشافية القرن التاسع عشر الميلادي، إلا أنها تحدثت عن أحداث الفترة التي سبقت القرن 19م، وقد استفدت منه كثيرا من خلال معرفة النشاط التجاري داخل هذه الواحات ،وعن القوافل التجارية الصحراوية وهيكلتها وتنظيمها ونظام سيرها.

2- المراجع :

أ:المراجع العربية:

1- **كتاب التجارة الخارجية للشرق الجزائري ما بين 1792-1830م، دار الحكمة ،الجزائر ،2014م ،لمؤلفه محمد العربي الزبيري** ، والذي يعتبرا مرجعا مهما عن الموضوع ،وقد تحدث عن النشاط التجاري داخل المناطق الصحراوية للشرق الجزائري ،وقد استفدت منه كثيرا في معرفة المبادلات التجارية بين هذه المناطق والمناطق الصحراوية المجاورة لها في طرابلس الغرب والمغرب الأقصى وأهم الصادرات والواردات بين هذه المناطق.

2- **كتاب معجم البلدان الليبية ،ط1،مكتبة النور،ليبيا ،1388هـ/1968م ،لمؤلفه الطاهر أحمد الزاوي** ، والذي خصصه بالتعريف بأهم المدن الليبية وأوضاعها الاقتصادية والسياسية ،وقد استفدت منه من خلال التعريف بأهم الحواضر الصحراوية الليبية كغدامس وغات ومرزق.

3- كتاب إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12-13هـ/18-19م،ط1،مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر ،2019م، لمؤلفه بوسَليم صالح ،والذي تناول فيه حاضرة توات ،ودورها في تجارة القوافل الصحراوية ،كما تحدث فيه عن التطور التاريخي لهذه الحاضر وعن أوضاعها الاقتصادية والثقافية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي ،وقد استفدت منه كثيرا من خلال معرفة النشاط التجاري داخل هذه الحاضرة وأهم المبادلات التجارية بينها وبين الحواضر المغاربية الأخرى.

ب-المراجع الأجنبية:

- Daumas : Le grand désert, ou Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des Nègres (royaume de Haoussa), Paris, 1848

-**كتاب الصحراء الكبرى لدوماس** :والذي تحدث فيه عن المناطق الصحراوية في شمال أفريقيا وفي بلاد السودان وعن حركة القوافل التجارية في الصحراء الكبرى، وقد اعتمدت عليه في معرفة مكونات القافلة وهيكلتها ،ودراسة أهم الأسواق التجارية في الصحراء.

Daumas : Le Sahara algérien : études géographiques, statistiques et historiques, Paris ,1845.

-**كتاب الصحراء الجزائرية لدماس**: الذي تحدث فيه عن المدن الصحراوية الجزائرية وأهم القرى التابعة لها ،كما تناول النشاط التجاري داخل هذه المدن ،وقد اعتمدت عليه من خلال التعريف ببعض هذه المدن وعلاقاتها التجارية مع المناطق المجاورة لها. ويعتبر هذا الكتاب مصدرا للقرن التاسع عشر الميلادي، إلا أنه تحدث عن أحداث سبقت هذه الفترة.

- إضافة إلى بعض المذكرات والمقالات التي أدرجتها في قائمة المصادر والمراجع والتي منها:

-مذكرة الماجستير بعنوان: "**الطرق التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م" للباحث رشيد حفيان**، والتي نوقشت في 2013-2014م بقسم التاريخ ،جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، تحت إشراف الدكتور: خليفة حماش، التي تناولت أنواع القوافل التجارية وأهم مسالكها في دول المغرب العربي ، إضافة إلى الأثار الحضارية لهذه القوافل على الحواضر المغاربية.

وقد استفدت منها كثيرا لمعرفة أنواع القوافل وهيكلتها وتنظيمها ،وأهم مسالكها بين الحواضر الصحراوية والمغاربية ،وأهم الأثار الحضارية للقوافل التجارية على الحواضر المغاربية.

–مقال: **تجارة القوافل الصحراوية بين الجزائر وطرابلس الغرب على العهد العثماني للدكتور بوسَليم صالح وعلوان عبد القادر**، حيث تناول هذا المقال حركة القوافل التجارية بين الجزائر وطرابلس الغرب خلال العهد العثماني وأهم العلاقات التجارية بين البلدين ،وقد اعتمدت علية من خلال معرفة المبادلات التجارية بين الحواضر الصحراوية الجزائرية والليبية ،وأهم السلع المتبادلة بين هذه الحواضر ،وأهم الطرق التجارية التي تربطها ،إضافة إلى دور القبائل الصحراوية في تجارة القوافل ،وأهم الصعوبات التي كانت تعترض القوافل كقلة الماء وانعدام الأمن.

– الصعوبات المعترضة:

لا يخلو أي بحث من الصعوبات التي قد يتعرض لها الباحث أثناء إنجازه لبحثه، وهذا ما يتطلب منه الصبر والمثابرة والإصرار والعزيمة من أجل تحقيق غايته والتصدي لهذه العراقيل، وقد واجهتني أثناء إنجازي لهذا البحث جملة من الصعوبات والتي منها:

– قلّة المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع خاصة في فترة القرن الثامن عشر الميلادي.

– صعوبة الحصول على بعض المصادر التي تخدم الموضوع خاصة رحلة غيرهارد رولفس من المغرب إلى طرابلس والتي تحدثت عن الحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى كتافيلالت .

– صعوبة ترجمة بعض المصادر الأجنبية التي تعتبر مصادر مهمة للموضوع.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أحمد الله عز وجل الذي وفقني على إنجاز هذا العمل ، كما أتقدم بالشكر الخالص لكل من قدّم لي يد المساعدة على إنجاز هذا العمل من أساتذة وأصدقاء وأخصّ بالذكر الأستاذ المشرف **بوسَليم صالح** على ما قدّمه لي من توجيهات ونصائح وعلى تتبعه المستمر للموضوع

الفصل التمهيدي: التعريف بأهم المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الاقصى والجزائر وطرابلس الغرب

المبحث الاول: أهم المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الاقصى

المبحث الثاني: أهم المدن والحواضر الصحراوية الجزائرية

المبحث الثالث: اهم المدن والحواضر الصحراوية بطرابلس الغرب

تأسّست بصحراء المغرب الأقصى والجزائر وطرابلس الغرب العديد من المدن والحواضر الصحراوية التي ربطت فيما بينها وبين بقية الحواضر الأخرى ،بحيث لعبت هذه المدن والحواضر منذ تأسيسها دورا بارزا في تجارة القوافل الصحراوية بين اقطار المغرب العربي ،وبين بلاد المغرب والسودان الغربي وبلاد المشرق. فماهي أهم هذه المدن والحواضر الصحراوية المغاربية؟ .

أولا: التعريف بأهم المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى.

1. تافيلالت (سجلماسة قديما)

تقع تافيلالت في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى ،ويعود تأسيسها للقرن الثامن الميلادي، وكانت عاصمتها سجلماسة[1]. يطلق اسم تافيلالت على مجموعة من الواحات وتبلغ مساحتها بنحو 12الف هكتار[2]، وتنقسم هذه الواحات إلى ثماني مجموعات وهي :تيولال ،الرطب ، تيزيمي، ريساني، وادي إيفلي ،سيفة سفالات، الغرفة ،وكل مجموعة من هذه المجموعات تنقسم إلى عدة قصور[3]. كانت تافيلالت في عهد المولى إسماعيل العلوي[4]، في المغرب الأقصى تابعة لحكمه ،وقد نصَّب فيها أكبر أبناءه مولاي محرز كخليفة له[5].

---

[1] –نفيسة بلخضر: مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ،مذكرة لنيل متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف :صالح بوساليم، جامعة غرداية،كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ،قسم العلوم الانسانية ،شعبة تاريخ،2015-2016م،ص 81.

[2] –الصديق بن العربي :كتاب المغرب ،ط3،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ،1404هـ/1984م،ص98.

[3] –لويس دوكولومب: (مذكرة عن واحات الصحراء والطرق المؤدية اليها)،ضمن كتاب الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في اواسط القرن التاسع عشر ،تر وتق: ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني ،دار البصائر الجديدة،الجزائر،2019م ،ص437.

[4] **المولى إسماعيل العلوي** : هو مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف بن مولانا علي بن مولانا محمد. بويع بمكناس بعد وفاة أخيه مولاي الرشيد يوم الأربعاء 16ذي الحجة 1082هـ/ وكان عمره انذاك 26سنة ،إتخذ مكناس الزيتون عاصمة لملكه ،كان من أعظم ملوك المغرب ،إتسعت نفوذه في جميع البلاد ، ،وإمتدت مملكته من الشرق إلى قرب بسكرة ، واستولى على تخوم بلاد السودان ، ومن إنجازاته :أنه استطاع استرجاع بعض الثغور المغربية من يد الإسبان كالمهدية وطنجة والعرائش وأصيلا ، للمزيد ينظر :محمد الصغير اليفرني :روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف ،تح:عبد الوهاب بن المنصور ،ط2،المطبع الملكية ،الرباط،1415هـ/1995م،ص 18 ومابعدها.

[5] رحلة الأسير مويط ، تر:محمد حجي ومحمدالأخضر ، دط، ددن ، دم ن،دت،ص100.

تعتمد الحياة الاقتصادية في المنطقة على زراعة النخيل وبعض الصناعات التقليدية، حيث كانت نخيلها تنتج أجود الثمار ،وأهم الصناعات التي اشتهرت بها هي الثياب المصنوعة من الحرير والصوف والزابي والأغطية[1]، إضافة إلى صناعة دبغ الجلود[2].

كما لعبت المنطقة دورا بارز في تجارة القوافل، إذ عادة ما تنطلق منها قوافل التجار والحجاج المغاربة الذين كانوا يحملون معهم بعض السلع المغربية كالجلود والأحذية الجلدية والحبال والصابون، حيث كانت هذه القوافل تمر في طريقها ببعض الحواضر الصحراوية كبسكرة وتقرت والأغواط وورقلة وتوات؛ باعتبارها مراكز للمبادلات التجارية ومحطات تستريح فيها قوافل الحجيج لمدة ثم تواصل رحلتها، حيث كان الحجاج يقومون بمبادلة بعض السلع التي يحملونها في تلك المناطق[3].

1.**فقيق**:

تقع فقيق شرقي سجلماسة ، بحيث تبعد عنها بحوالي 250كم[4]، وهي عبارة عن ناحية تتربع على مساحة 20كم ،حيث تضم سبعة قصور كبيرة ،وهي قصر الزناقة وقصر الواد غير، وقصر العبيد ،قصر واولاد سليمان و قصر الحمام الفوقاني وقصر الحمام التحتاني، وسكان هذه القصور كلهم من البربر[5]. **أما لويس دوكولومب** فقدر عددها بأحدى عشر قصر وهي: قصر الزناقة ،قصر العبيد ،قصر المحارزة ،قصر بني هارون، قصر الودير ،قصر اولاد سليمان ،قصر المعيز ،قصر الحمام التحتاني ،قصر الحمام الفوقاني ،قصر تاخلة، قصر بني ونيف، تمتد هذه القصور في خط واحد يربط بينها سور مبني بالتربة المدكوكة يبلغ طوله ثلاثة امتار ،كما تحمي هذه القصور الواحة من جهتي الشمال والغرب ،فهي تشكل حصونا على طول السور الذي يربط بينها[6] . كانت فقيق تابعة اسميا

[1]–مرمول كربخال: افريقيا، تر:محمد حجي ومحمد زنيبر و أحمد توفيق،دار المعرفة للنشر والتوزيع،الرباط،ج3، 1982-1989م ،ص156.

[2] الصديق بن العربي، المرجع السابق ، ص98.

[3]عمار بن خروف :العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب خلال القرن10هـ/16م،دار الأمل للطباعة والنشر ،،دت،ج2،ص86.

[4]حسن الوزان: وصف أفريقيا، تر:محمد حجي ومحمد الأخضر ، ط2،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،ج2،ص132.

[5] احمد توفيق المدني :كتاب الجزائر ،دط، ددن، دم ن،دت ،ص229.

[6]–لويس دوكولومب ،المرجع السابق،السابق ،ص ص 423-424.

لسلطنة المغرب الأقصى أثناء فترة حكم المولى إسماعيل العلوي 1672-1727م،إلاأ نها تعتبر ضمن منطقة الجنوب الجزائري[1].

كانت الحياة الاقتصادية في واحة فقيق مزدهرة سواء في الجانب الفلاحي أو الصناعي أو التجاري . حيث كانت المنطقة تحتوي على عدد كبير من النخيل ،وكانت النخلة تعتبر محور نشاطهم الفلاحي .أما بالنسبة للصناعة فتتمثل في بعض الصناعات التقليدية ،بحيث كانت نساء فقيق يمارسن صناعة النسيج وكانت الثياب تنسج من الصوف على شكل أغطية السرير ،وكان تجارها يحملون هذه المصنوعات إلى بعض المدن كفاس وتلمسان لتباع فيها بثمن مرتفع[2].

ثانيا:أهم المدن والحواضر الصحراوية الجزائرية.

1.توات.

يقع إقليم توات في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية، يبعد عن العاصمة الجزائرية بحوالي 1500كلم. أما فلكيا فيقع بين خطي طول 4°غربا إلى 1°شرقا وبين خطي عرض 26-30°شمالا، يتشكل الإقليم من مجموعة من الواحات والقصور تزيد عن ثلاثمئة وخمسين واحة[3] . يحده من الشمال العرق الغربي الكبير[4] و من الجنوب صحراء تنزر وفت، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير ومن الغرب وادي مسعود[5]، يتوزع الاقليم على ثلاث مناطق وهي:

1:منطقة تيكورارين :والتي تقع شمال توات، يحدها العرق الغربي الكبير من الشمال والشمال الشرقي ويحدها جنوبا هضبة تادميت [6]ومن الشرق الحوض الشرقي لواد الساورة.

---

[1] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق،ص229.

[2]حسن الوزان : السابق المصدر نفس ،ص ا132.

[3]فرج محمود فرج :أقليم توات خلال القرنين 18-19م،دط،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1977م،ص1.

[4]**العرق الغربي الكبير** :هو عبارة عن قوس سميك من الرمال يمتد جنوب الجهة الغربية للتل الصحراوي :ينظر: محمد أعفيف :توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها ،ط1،مطبعة أبي رقاق للطباعة والنشر ،الرباط ،2014م،ص36.

[5]صالح بوسليم :إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12-13هـ/18-19م،ط1،مركز البحث في العلوم العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، الجزائر ،1440هـ/2019م،ص13.**ينظر الملحق رقم (5)**، ص99.

[6]-هضبة تادمايت:تقع جنوب العرق الغربي الكبير الذي يفصلها عن وادي مكيدن :ينظر محمد أعفيف، مرجع سابق ص36. ص36.

2- منطقة توات الوسطى: وهي الاسم الذي أطلق على جميع مقاطعات الإقليم ،تتوسط الإقليم وتبدأ من أعالي قصور تسابيت إلى غاية نهاية قصور رقان جنوبا.

3- **منطقة تيديكلت** :تقع بين منطقة توات الوسطى وهضبة تادمايت شمالا وهضبة مويدرا جنوبا[1].

أما بالنسبة لتاريخ المنطقة، فلم تكن توات بعد الفتح الإسلامي سوى مركز عبور للقوافل التجارية ، حيث يقصدها أصحاب القوافل القادمة من الشمال والغرب والشرق العابرة لبلاد السودان حيث تتزود بالبضائع المختلفة كالتمر، لمواصلة رحلتها. وبحكم موقع اقليم توات في قلب الصحراء و بعده عن مسرح النزاعات والحروب التي شهدها المغرب الاسلامي، اتخذها الكثير من الأهالي بعد تردئ الأوضاع في مدن الشمال ملجأ لهم[2].

ونظرا لأهمية الأقليم في المجال التجاري باعتباره منطقة عبور للقوافل التجارية وهمزة وصل بين أفريقيا الشمالية والجنوبية ولعدم وقوعه تحت أي حكم لا حكم العثمانين ولا السعدين ،دفع السلطان أحمد المنصور السعدي في أواخر القرن 16م إلى بسط نفوذه إليه، حيث بعث إليه بجيش كبير بقيادة القائدين ابي عبدالله محمد بن بركة و ابا العباس أحمد ابن الحداد العمري المعقلي، فإنطلق الجيش المغربي من مراكش قاطعا الصحاري متجها إلى بلاد توات ، ولما وصل الجيش المغربي طلبوا من أهل توات الاستسلام والخضوع للسلطان المغربي، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل، مما دفعهم إلى اللجوء للقوة والسلاح فدار القتال بين الطرفين إلى إن تمكن السعديين من إخضاع الإقليم في سنة990هـ/1582م، وكانت من أهم الدوافع التي دفعت المنصور السعدي بغزو إقليم توات أن يجعل منه قاعدة ينطلق منها لغزو بلاد السودان "وبعد هذا تشوفت نفس المنصور إلى الإستلاء على بلاد السودان ..." [3].

[1] هقاري محمد :(دور منطقة الهقار في تجارة القوافل الصحراوية مابين القرنين 17-18م)، مجلة أفاق العلمية ، المركز الجامعي تمنغست ،الجزائر ، ع11،جوان216م،ص13.

[2] فرج محمود فرج :المرجع السابق .ص4-5.

[3] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،ج5،تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري،دط،دار الكتاب ،الدارالبيضاء،1997م،ص98-99.

ولكن خضوع الأقليم لحكم المنصور السعدي لم يدم طويلا ،حيث كان أهله يتمردون وينتهزون الفرص للتخلص من حكم السعدين، ممادفع بالمنصور السعدي يوجه حملة أخرى للأقليم سنة997هـ/1589م بقيادة أبي عبدالله بن بريكة ،الذي أستطاع أن ينجح مرة أخرى من إخطاع الأقليم لحكم السعدين .ولكن النفوذ السعدي في الأقليم بدأ يتراجع في السنوات الأخير من حكم المنصور السعدي بسبب سوء الأوضاع بالمغرب الأقصى، ليتراجع نهائيا بعد وفاته[1]. اما في العهد العلوي فقد قام المولى اسماعيل بعدة حملات على الأقليم وكان الغرض منها هو تغير الحدود بين الجزائر والمغرب[2]، وبخصوص علاقة بلاد توات بلحكم العلوي فإن هذه العلاقة كانت تتمثل في تعين العمال والقضاة بهذه البلاد بالإضافة إلى جمع الأتوات من الأهالي[3].

وكان اقليم توات يدين بالولاء والطاعة لسلاطين وحكام المغرب الأقصى، حيث يذكر العياشي أثناء إقامته في توات في رحلته للحج: "عدد المثقال عندهم أربعة وعشرون موزونة ويقولون للمثقال الأربعين مثقال شريفي، نسبة للأمير الشريف صاحب سجلماسة وكل هذه البلاد في طاعته"[4].

تعتمد الحياة الاقتصادية في إقليم توات على استغلال المياه الجوفية عن طريق السقي، و غرس النخيل و زراعة الحبوب و بعض الخضروات الجافة، إضافة إلى تربية المواشي كالماعز و الغنم و الإبل و بعض الصناعات التقليدية[5].وكان الإقليم ينتج بعض المنتوجات التي كانت تلبي حاجيات السكان اليومية كالتبغ والحناء ،وبعض المحاصيل الزراعية كالشعير والقمح .أما عن الصناعة، فقد كانت أهم الصناعات تتمثل في بعض الحرف كنسيج البرانس والحياك إلى غير ذلك من المنتوجات التي كانت تلقي رواجا وإقبالا على شرائها من قبل التجار الوافدين على الإقليم[6].

---

[1]محمد بلعالم : الرحلة العلية إلى منطقة توات، دط ،د د ن، د م ن ، د ت ، ج2، ص ص 52-53.

[2]صالح بوسليم: المرجع السابق ،ص66.

[3]عبد الله حمادي الإدريسي: الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات ،ط1،دارالكتاب الملكي، الجزائر ،1434هـ/2013م، ج1،ص218.

[4]– عبد الله محمد العياشي: الرحلة العياشية ، 1663/1661م،ط1، تح: سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويد للنشر و التوزيع، أبو ظبي،2006، مج 1، ص79.

[5]صالح بوسليم :المرجع السابق،ص139.

[6]محمد بالعالم :المرجع السابق ص45.

كما لعب اقليم توات دورا بارزا في تجارة القوافل الصحراوية ويرجع هذا لموقعه الذي يتوسط عددا من طرق القوافل التجارية التي تربط أسواق افريقيا الشمالية و الجنوبية[1]. و هناك العديد من الرحالة الذين تعرضوا لدور اقليم توات في التجارة ، حيث يذكر لنا الرحالة العياشي دوره أثناء إقامته في المنطقة لرحلته للحج إذ يقول: "وسبب إقامتنا في هذه البلاد، أن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخروا الصرف إلى توات فإن الذهب فيها ارخص ... و هذه البلاد هي مجمع القوافل الآتية من تنبكت ..."[2] .حيث قدم لنا العياشي فكرة مختصرة عن دور الإقليم في التجارة وذلك بأنه يعتبر مركزا لتجمع القوافل التجارية الآتية أو الذاهبة إلى بلاد السودان.

2.بسكرة.

تقع بسكرة على ارتفاع يقدر ب100و220 مترا من على مستوى سطح البحر[3]. و قد تطرق إليها العديد من الرحالة حيث يصفها ياقوت الحموي "بسكرة هي بلدة بالمغرب من نواحي الزاب ، بينها و بين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل و شجر وقسب جيد و بينها و بين طبنة مرحلة..."[4].

ويذكر الرحالة حسن الوزان بأنها مدينة قديمة من أهم مدن إقليم الزاب، تأسست في العهد الروماني، لكنها تعرضت للخراب، و أعيد بناؤها أثناء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وكانت خاضعة لملك تونس حتى توفي السلطان أبو عثمان الحفصي 1488م،وبعدها ثار أهل المدينة على

[1] هاشم ناصر حسين الكعبي: (أقليم توات كدراسة في أوضاعه في أوضاعه العامة حتى القرن 12ه) ، مجلة كربلاء العلمية ،كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة كربلاء ،قسم التاريخ،مجلد14، ع2016،1م،ص84.

[2] – العياشي: الرحلة العياشية ، المصدر السابق، ص79.

[3] مختار حساني : الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية ، دار الهدى، الجزائر 2011، ج5، ص3.

[4] ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر ،بيروت،1977م،مج1،ص422.

السلطةالتونسية[1]. قام العثمانيين بضم بسكرة 1552م بقيادة صالح رايس[2] حيث خضعت لنظام الحكم العثماني بالجزائر إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر حيث هاجمها الدوق دومال1844م[3].

أما بالنسبة للحياة الاقتصادية للمنطقة فقد قدم لنا الرحالة العياشي صورة دقيقة عنها وذلك بأنها من أهم المناطق المنتجة للتمور وذات زرع كثيف حيث يقول "أن هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة ...ذات نخل كثيف و زرع كثيف، و زيتون ناعم و كتان جيد... و بها الخضر والفواكه، والبقول، وكثيرة اللحم و السمن في أسواقها"[4]. ويذكر كاريت الذي زار المنطقة القرن 19م أن أهم المنتوجات في المنطقة هي الزيتون والتمر ،والفلفل والحناء والتبغ ،كما تشتهر المنطقة بتربية المواشي وكانت أهم الحيوانات بالمنطقة الغنم والماعز والبقر والحمير والبغال وعدد قليل من الإبل وعادة ما تكون هذه الحيوانات ملكية للقبائل[5].

وتعتبر منطقة الزاب من أهم المناطق المنتجة للتمور وكانت التمر من أهم السلع التي تصدرها لبلاد السودان، أما عن أهم الصناعات في المنطقة فتتمثل في بعض الحرف كصناعة البرانس والقنادير والحنابل[6]. كما لعبت المنطقة دورا بارزا في التجارة فقد كان سكانها يرتادون عدة اسواق ومن بينها قرية الزيبان قسنطينة ،تقرت، وقد كانوا يحملون إلى هذه الأسواق بعض البضائع المحلية ،ويستوردون منها في المقابل بعض البضائع والسلع التي هم بحاجة اليها[7] .

[1] حسن الوزان :المصدر السابق ،ج2،ص138.

[2] **صالح رايس** :هو موري ولد بالإسكندرية في فترة حكم السلطان سليم الأول ،انتقل إلى تركيا ومنها إلى بلاد البربر، حكم الجزائر في سنة 959هـ/1552م،قام بإخضاع بعض المناطق الجنوبية كتقرت وورقلة وبسكرة، للمزيد: ينظر :فراي ديقو هايدو :تاريخ ملوك الجزائر ،تر: ابو لؤي عبد العزيز الأعلى ،دط، دار الهدى،الجزائر،دت،ص ص97-98.

[3] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص198.

[4] العياشي: الرحلة العياشية ، المصدر السابق، ص 540.

[5] إرنست كاريت: (دراسات حول الصحراء الجزائرية 1839)، ضمن كتاب الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في اواسط القرن التاسع عشر ،المرجع السابق، ص 41.

[6] مختار حساني : المرجع السابق ،ص ص 13-14.

[7] ارنست كاريت :المرجع السابق،ص41.

3.ورقلة (وارجلان)[1].

تقع ورقلة في الجنوب الشرقي للجزائر تحدها شرقا منطقة واد ريغ[2]، وغربا منطقة واد ميزاب، و في الجنوب الغربي حاضرة المنيعة وفي الجنوب الشرقي العرق الشرقي الكبير، أما شمالا تحدها حاضرة الحجيرة. أما فلكيا فتقع المنطقة بين خطي عرض 31.55°و 32.00°شمال خط الاستواء و بين خطي طول 05.15 °و05.25 °شرق خط غرنيتش[3].

تحتل المنطقة موقعا استراتيجيا هاما ، بحكم وقوعها في منطقة الجنوب الشرقي الجزائري، التي تندرج ضمن المنخفضات الصحراوية الآهلة بالواحات والغنية بالمياه الجوفية[4]. وقد ساعدت هذه المصادر المائية في ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية بالمنطقة كما أن هذا الازدهار والتطور مرهون باستغلال تلك المياه الجوفية من طرف الأهالي[5] .

أما فيما يتعلق بالوجود العثماني بالجزائر، فالمنطقة لم تعرف حكما عثمانيا واضحا وقد كان الاتصال الأول بالعثمانيين عبارة عن الحملات لأخذ الجباية كحملة صالح رايس1552م الذي جهز حملة عسكرية و توجه إلى المدينة واستولى عليها وألزمها ضريبة سنوية تقدر بـ30 عبدا ثم عاد إلى مقر الحكم بالجزائر وحملة يوسف باشا 1659م، بسبب تمرد الأهالي عن دفع الضريبة[6] .

---

[1] **ورجلان**: اطلق الجغرافيين عدة تسميات على المنطقة كورجلان او ركلان واجلان وارقلان وركلة .فقد ذكرها البكري بإسم وارجلان ،ينظر :البكري ابي عبيد: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،دار الكتاب الإسلامية ،القاهرة،دت،ص182. /اما الإدريسي فقد ذكرها بإسم وارقلان ،ينظر :الإدريسي ابو عبد الله محمد الشريف :نزهة المشتاق في افتراق الافاق ،ج3،ص25. اما العياشي فقد ذكرها بإسم واركلا، ينظر: العياشي ابو سالم ، الرحلة العياشية مصدر سابق،ص114.

[2] **واد ريغ**: ينحدر من هضبة الصحراء نحو شط ملغيغ فتتكون حوليه واحات تقرت وتماسين ثم جامعة ،ينظر: احمد توفيق المدني ،جغرافية القطر الجزائري ،للناشئة الإسلامية ،دط،دن،دت،ص42.

[3] أحمد ذكار : حاضرة ورجلان و علاقتها التجارية بالسودان الغربي1000-1301هـ/ 1591-1883م، مذكرة ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث و المعاصر، اشراف محمد صالح حوتية، جامعة أدرار،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية والعلوم الإسلامية ،قسم التاريخ، 2009-2010م، ص10-11.

[4] نفيسة بلخضر: المرجع السابق،ص41.

[5] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية ،ط2، دار البصائر ، الجزائر 2008م، ص476.

[6] نفيسة بلخضر: المرجع السابق ، ص 39-40.

أما بالنسبة للحياة الاقتصادية، فقد كانت لها اهمية لا يستهان بها ولا سيما في المجال التجاري اذ ظلت ورقلة طيلة الفترة العثمانية ملتقى للتجار ، ومحطة للقوافل التجارية التي كانت تعبر الصحراء[1]. كما أنها تعتبر مركزا للمبادلات التجارية ، ومنطقة التقاء تجار قسنطينة وتونس من أجل مبادلة منتوجات بلاد المغرب مع المنتوجات التي تستوردها المنطقة من بلاد السودان، وهذا ما أكّده لنا الحسن الوزان عند قوله:" وسكانها أغنياء جدا... منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغرباء لاسيما من قسنطينة و تونس يحملون إلى وركلة منتجات بلاد البربر و يستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان"[2].

ولم يكن النشاط الاقتصادي في المنطقة مقتصرا على التجارة فقط، بل شمل الزراعة والصناعة، فقد اشتهرت ورقلة بزراعة أشجار النخيل، والحمضيات والحبوب والخضر على مر العصور[3]. أما في المجال الصناعي فقد عرفت المنطقة صناعة بسيطة في ميدان صياغة المجوهرات والحدادة التي تتمثل في صناعة بعض الأدوات الحديدية التي تستعمل في الفلاحة والحروب[4].

ثالثا: أهم المدن والحواضر الصحراوية بطرابلس الغرب.

1.غدامس.

تعتبر غدامس واحة من الواحات الصحراوية لطرابلس الغرب ،تقع في الجنوب الغربي من مدينة طرابلس ،تقدر مساحتها حوالي 160هكتار[5]، تقع فلكيا على خط طول 4،9شرقا وعلى

[1] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ،ص486.

[2] الحسن الوزان: المصدر سابق،ج2، ص136.

[3] مختار حساني: موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية ،مدن الجنوب ،ط2،دار الحكمة ،الجزائر ،2007،ج2 المرجع السابق، ص189.

[4] أحمد ذكار :المرجع السابق ،ص83.

[5] الطاهر احمد الزاوي :معجم البلدان الليبية ،ط1،مكتبة النور ،ليبيا 1388هـ /1968 م ص242.

دائرتي عرض 6،30شمالا ،حيث تحدها من الشرق مدينة درج[1] ، ومن الغرب الحدود الجزائرية ومن الشمال الحدود التونسية ،أما جنوبا فتحدها مدينة غات[2].

إن الموقع الاستراتيجي للمنطقة جعلها هدفا للغاصبين عبر التاريخ، فقد احتلها القرطاجيون سنة795ق،م،كما احتلها الرومان في عام 19 ق.م، وفي عام 662م قام المسلمون بفتحها بقيادة عقبة بن نافع[3].

أما في العهد الحفصي فقد شهدت المنطقة عدة حملات كحملة أبو فارس عبد العزيز796هـ/ 1393م ،وحملة رمضان باي 1018هـ/1609م[4]، وفي اوائل القرن 19م أعلنت غدامس الخروج عن الحكم القرمانلي ورفض سكانها دفع الضريبة لحكومة طرابلس فقام يوسف باشا [5] [5] بإرسال حملة إليها بقيادة إبنه علي بك سنة1225هـ/1810-1811م ، الذي استطاع أن يدخل المنطقة في طاعة حكومة طرابلس ،وألزمها بدفع ضريبة تقدر بـ20الف مثقال من الذهب إلى

[1] درج: تعتبر درج مركزا من المراكز العمرانية التي يقال انها تعود للقرن 8ق،م وهي واحة من اهم واحات الحمادة الحمراء حيث يتوسط موقعها اراضي واودية زراعية خصبة ومناطق رعوية : ينظر: فاطمة علي إمحمد أحويلات :تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء 1750/1203 م بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، إشراف عبد الفتاح محمد الكباشي ،جامعة أم درمان الإسلامية ، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ،1437هـ/2016م، الهامش ،ص76.

[2] سلمى عبد الرزاق عبد الشبلاوي : (مدينة غدامس النشأة والتطور العمراني –دراسة في جغرافية المدن)، جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الانسانية ،ص3 .

[3] **عقبة بن نافع**: هوعقبة بن نافع بن عبد القيس بن القيس بن اعمر بن أمية ولد سنة 621م نشاة في بيئةاسلامية خالصة قام بفتح زويلة سنة21 هـ،للمزيد ينظر: محمود شيت :قادة فتح المغرب االعربي،دارالفكرللطباعةوالنشروالتوزيع،1404هـ/1984م، ج1،ص90.

[4] – بشير قاسم يوشع : (العلم والعلماء بغدامس في عصر ابن غلبون) ،مجلة البحوث التاريخية ،،مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ع1983،1م،ص ص 83-84.

[5] **يوسف باشا**: هو ابن علي القرمانلي تولى الحكم في طرابلس سنة 1211هـ/1796م،وأول ماقام به هو إعادة النظام وإصلاح وإصلاح ما أفسده من قبله من الحكام حتى يكسب ثقة الناس ،في عهده وفي سنة 1217هـ/1802م غزت أمريكا طرابلس ،وفي سنة1218هـ ثار اهل غريان بزعامة الشيخ عبد الوافي ، للمزيد ينظر: الطاهر احمد الزاوي :ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي ،ط1،دار الفتح للطباعة والنشر ،بيروت،1390هـ/1980م،ص 231.

الوالي و120الف محبوب كتعويض عن الحملة[1]. أما أثناء العهد العثماني الثاني، فلم تعترف به غدامس إلا بعد عهد الوالي محمد الأمين 1842م[2].

– وتعتمد الحياة الاقتصادية في المنطقة على بعض المحصولات الزراعية وبعض الحرف والصناعات التقليدية .وتتمثل المحاصيل الزراعية في:

الفواكه : كالرومان والعنب والخوخ والليمون والتين والمشمش واللوز والبطيخ

الخضر: كالبصل والفاصولياء والفول واللفت والبطاطس والثوم، والباذنجان، الطماطم، الفلفل.

الحبوب: كالذرة، الشعير، القمح، الدخن.

أما بالنسبة للصناعة؛ فتشتهر المنطقة ببعض الحرف والمصنوعات الجلدية كصناعة أحزمة الحرب والأحزمة العادية من الجلد السوداني ،إضافة إلى صناعة الأحذية والمقاعد الجلدية والمحافظ ،إضافة إلى الصناعة النسيجية منها الملابس الصوفية كالبرانس والحياك، والجلاليب والقنادير، وصناعة الأدوات المنزلية كالقفف المصنوعة من مادة الحلفاء[3]، كما اشتهرت المنطقة بزراعة النخيل ،وكانت لها علاقات تجارية مع بلاد السودان حيث وصفها حسن الوزان: "سكانها اغنياء لهم بساتين نخل واموال لأنهم يتاجرون مع بلاد السودان"[4].

أما بالنسبة للتجارة فقد كانت معظم تجارة غدامس تتم مع طرابلس وتونس ومع بلاد السودان والجنوب الجزائري ،حيث تعتبر همزة وصل بين البحر المتوسط وبلدان افريقيا الوسطى ،ومن أهم السلع والبضائع التي كانوا يصدرونها إلى بلاد السودان هي كالأقمشة والبرانس، القبعات الحمراء

[1] اتوري روسي :ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م،تروتق:خليفة محمد التليسي،الدار العربية للكتاب ،طرابلس،1973م،382.

[2] –بشير قاسم يوشع : المرجع السابق ،ص84.

[3] –حسين جاجوا: دور غدامس التجاري مابين طرابلس والسودان الأوسط والغربي خلال 1850–1881م،بحث مقدّم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، إشراف: عبد القادر زبادي ،جامعة الجزائر قسم الدراسات العليا ،1981م،ص ص23–24.

[4] الحسن الوزان :المصدر السابق ،ج2 ،ص146.

المرجان ،النحاس ،الورق، الرصاص، البارود، الكبريت ،المرايا، ويأتون منها اثناء رجوعهم بالعبيد العاج، ريش النعام ، غبار الذهب[1].

2.غات:

تقع غات في الجنوب الغربي من طرابلس الغرب وهي واحة من وحات الصحراء الكبرى الوسطى ،كما تقع في الجنوب الغربي من غدامس وسبها ومرزق وشمال غرب أرزو ،وإلى الشمال الشرقي من جانت ،تبعد عن طرابلس بمسافة 1360كم، اما فلكيا فتقع على خطي عرض 37،24 درجة شمالا وخط طول 27،7شرقا[2].

أما بالنسبة للتطور التاريخي للمنطقة، فقد كانت غات خلال الحكم العثماني ،تتمتع باستقلال ذاتي ، و لما بدأت التوغل الفرنسي في جنوب أفريقيا ،شرع العثمانين بمد نفوذهم نحو المنطقة حتى لا تستولي عليها فرنسا بحكم أنها منطقة ليست مملوكة ،فقد احتلالها الاتراك سنة 1884م، ولكن التوارق قاموا بثورة ضدهم وأخرجوهم من المنطقة سنة 1886م، وفي سنة 1887م استطاع الأتراك استرجاع المنطقة ،وبقيت تحت حكمهم وتابعة لطرابلس حتى قام الإيطاليون باحتلالها سنة1914م[3] .

لعبت غات دورا بارزا في تجارة القوافل الصحراوية ،حيث تعتبر محطة تتجمع فيها القوافل التجارية القادمة من طرابلس إلى السودان،أو العكس، والتي كانت تحمل معها مختلف البضائع وقد كان سكان المنطقة يستفيدون من هذه القوافل ،وقد استفادة هذه المنطقة ايضا من تجارة الرقيق وتجارة القوافل في القرن19م، ولكن الأوضاع ساءت في المنطقة بعد توقف هذه التجارة التي كانت من عوامل نموها وازدهارها[4].

---

[1] –غير هارد رولفس :عبر أفريقيا، رحلة من البحر المتوسط عبر لبحر إلى بحيرة تشاد وإلى خليج غينيا ،تر وتق وتع: عماد الدين غانم ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، دت،ج1، ص106.

[2] نجمي رجب ضياف: مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن19م ،ط1،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،ليبيا1999 م،ص50.

[3] الطاهر أحمد الزاوي :معجم البلدان الليبية ...المرجع السابق، ص23.

[4] فرانشسكو كورو:ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني ،تع وتق:خليفة محمد التليسي ط2،المنشأة العامة للنشر والتوزيع،طرابلس،1984م،ص123-124 .

3.مرزق:

هي عاصمة فزان تقع في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس تبعد عنها حوالي 775كم[1]، تقع على خطي طول 10،14درجة شرقي غرينتش ،وخطي عرض 52،25درجة شمالا، وقد تأسست على يد أولاد محمد الفاسي [2]. وقد إتخذ مؤسسها في بداية الأمر مدينة سبها عاصمة له ، ولكن لما انتقلت عائلته إلى مدينة مرزق ، أصبحت فيما بعد هي العاصمة السياسية في عهد حكم المنتصر بن محمد الفاسي 1577م، وكان انتقال أولاد محمد[3] إلى مرزق نتيجة لاتساع نفوذهم السياسي بعدما سيطروا على المناطق المحيطة بوادي الآجال وعتبة والحفرة والشرقيات[4].

وكانت مرزق محطة رئيسية للقوافل الصحراوية العابرة لبلاد السودان والشمال الأفريقي، كما لعبت دورا كبيرا في التجارة الصحراوية[5]. حيث كانت تتوافد عليها القوافل من طرابلس ومصر وتوات ومن بلاد السودان ،كما أنها تعتبر محطة لقوافل الحج التي كانت تتوقف للاستراحة والمتاجرة في المنطقة لمدة من الزمن ثم تكمل طريقها[6]. وإلى جانب الدور التجاري الذي لعبته المنطقة، فقد كانت تختص كذلك ببعض المزروعات كالبقول واللفت والسلق و المعدنوس والطماطم والفلف ،كما يعتبر التمر المصدر الأساسي لقوتهم اليومي ويرجع ذلك لكثرة النخيل في المنطقة[7].

---

[1] –الطاهر محمد الزاوي:معجم البلدان الليبية...، المرجع السابق، ص310.

[2] غير هارد رولفس:المصدر السابق،ص154.

[3] **أولاد محمد**: يرجع أصلهم' إلى أشراف المغرب ،وكان مؤسس دولتهم محمد الفاسي رئيسا لإحدى قوافل الحج العابرة لفزان في طريقها للحج ،وبعدها استعان به أهل فزان لإنقاذهم من جور حكامهم ،حيث ألت إليه أمور الحكم في البلاد في أواخر القرن 15م،وقد لعب أولاد محمد دورا بارزا في تاريخ فزان ،وتوسعت دائرة نفوذهم ،واستطاع سلطانهم محمد الفاسي أن يوطد أركان دولته بالقضاء على شيوخ الخرمان المناوئين له،ينظر: رجب نصير الأبيض :مدينة مرزق وتجارة القوافل خلال القرن التاسع عشر ،دراسة في التاريخ السياسي والإقتصادي،ط1،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس،1998م،ص 50-51.

[4] نفسه ،ص52-53.

[5] –ابراهيم ابو القاسم : (مركز طرق القوافل بين شمال أفريقيا ووسطها)، ضمن ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر العصور ،مكتبة تاريخ واثار دولة المماليك ،القاهرة ،1421هـ/2000م،ص502.

[6] محمد بن عثمان الحشائشي :جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ،تع وتح :علي محمد المصراتي ،ط1،دار لبنان للنشر والتوزيع ،بيروت 1965م،ص 82.

[7] –نقولا زيادة :افريقيات ،دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي ،ط1،رياض الريس للكتب والنشر ،لندن،1991ص262.

ومن خلال ما تقدم نستنتج ان هذه من اهم الحواضر الصحراوية المغاربية التي لعبت دورا بارزا في تجارة القوافل الصحراوية منذ القدم ،وقد كان لموقعها الاستراتيجي دور في اكسابها هذه الأهمية ، وبالإضافة الى هذه المدن و الحواضر التي تطرقت اليها هناك مدن وحواضر اخرى لا تقل عنها اهمية كدرعة والأغواط وتقرت وواد سوف ،ووادي ميزاب.

الفصل الأول: قوافل التجارة الصحراوية في بلاد المغاربة وأهم مسالكها

المبحث الأول: القافلة وتنظيمها

المبحث الثاني: المخاطر والصعوبات التي تواجه القوافل ودور القبائل الصحراوية في تجارة القوافل واهم الاجراءات

المبحث الثالث: اهم الطرق والمسالك التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية المغاربية

لقد جابت القوافل المغاربية مناطق عديدة، وبمختلف الإتجاهات لترتاد المراكز التجارية المختلفة وكان حجمها يختلف من حيث العدد من قافلة إلى أخرى، وسارت في طرق مختلفة، وإختلفت حمولتها من حيث النوع والكم والأهمية، حسب متطلبات السوق[1]،كما إختلفت أنواعها وكانت هذه القوافل في كثير من الأحيان تعترضها عدة مشاكل في طريقها، لذا فنتساءل: ماهي أنواع القوافل؟ وهل كانت تسير وفق نظام معين؟ وماهي الصعوبات والمشاكل التي كانت تعترضها ؟وما هو دور القبائل الصحراوية في تجارة القوافل؟ وماهي الحلول والإجراءات المتخذة ضد المشاكل التي تواجه القوافل ؟ وماهي أهم المسالك التي كانت تتبعها بين الحواضر والمدن الصحراوية؟

المبحث الأول: القافلة وتنظيمها:

أولا: أنواع القوافل:

1. القوافل التجارية:

تضم هذه القوافل مجموعات متعددة من التجار الذين لا تربطهم سوى مصلحة الطريق، وكان لا بد لهذه القوافل دليل او اكثر لبلوغ غايتها[2]، وهناك مراكز مختلفة لإنطلاق وإتجاه هذه القوافل في بلاد المغرب العربي، حيث كانت هناك قوافل بين الجزائر والمغرب وبين الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، وكانت هذه القوافل تحمل معها أثناء ذهابها سلع وبضائع مختلفة، و تقوم ببيعها أو مقايضتها في المراكز التي تتجه اليها[3]،" ثم إن تنظيم هذه القوافل ومواعيد تحركاتها ومسيرتها ومدى ضخامتها، ومقدار حمولتها إلى غير ذلك من التفاصيل لا تزال غير معروفة بشكل محدد ودقيق"[4].

[1]- رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية واثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف خليفة حماش، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013-2014م، ص 54.

[2]- يمينة بن صغير حضري: (الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري من القرن 4هـ/10م الى القرن 11هـ/ 17م) ، مجلة الواحات والبحوث والدراسات، المركز الجامعي غرداية، قسم العلوم الإنسانية، ع16،الجزائر،2012م، ص 223.

[3]- رشيد حفيان، المرجع السابق ص 56.

[4]- عمار بن خروف: مرجع سابق ص 63.

وهناك نماذج كثيرة من القوافل التجارية في المغرب العربي نذكر على سبيل المثال قافلة **سلا**[1] التي تعتبر من أهم القوافل التجارية التي لعبت دورا كبيرا في تجارة القوافل بين البلدان المغاربية، حيث كان نشاطها التجاري يمتد من **سلا** بالمغرب الى تونس عبر الجزائر، وكانت هذه القافلة تنطلق من المغرب محملة ببضائع المغرب وبلاد السودان، من منسوجات صوفية وأدوات نحاسية وبعض العقاقير والنقد الذهبي وغير ذلك مارة بتلمسان ومعسكر والجزائر وقسنطينة إلى أن تبلغ تونس[2]،كما تنطلق من غدامس ثلاث قوافل سنويا باتجاه تونس، يطلق عليها القوافل الغدامسية، وكانت تحمل معها أثناء ذهابها غبار الذهب، وريش النعام والعبيد، وتستورد من تونس القماش والنسيج، والحرير والجلد الأحمر والتوابل[3]، وكانت القوافل الغدامسية وقوافل فزان تصل الى طرابلس محملة ببعض البضائع المستوردة من بلاد السودان كالعبيد، والتبر، وريش النعام والعاج والبوتاس الأحمر، ويتم استبدال هذه البضائع في طرابلس بنحاس المشرق، وغيرها من الأسلحة البيضاء والخرز والاقمشة[4]، أما القوافل التجارية الجزائرية المتجهة إلى طرابلس الغرب عادة ما تنطلق من تقرت، وواد سوف وورقلة بالجنوب لتصل الى سوق غات، وكان تجار الجنوب الجزائري يحملون إلى هذه السوق بعض منتجاتهم ومصنوعاتهم المحلية وبعض المنتوجات المستوردة من أوروبا، وتتمثل هذه السلع في المواد العطرية والجواهر والحرائر والورق والتوابل، وكانت تستورد هناك الحمير والعبيد والتبر والجمال وغيرها من المنتوجات الافريقية[5].

[1]- **سلا**: مدينة قديمة بناها الرومان، على شاطئ المحيط يفصل بينها وبين الرباط نهر أبي رقراق، للمزيد انظر: حسن الوزان: المصدر السابق،ج1،ص207.

[2]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 64.

[3]- رشيد حفيان: مرجع سابق ص56.

[4]- اتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تر وتق: خليفة محمد التليسي، ط2، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية،1991، ص414.

[5]- عبد الكريم بوصفصاف: (التجارة الخارجية الجزائرية في العهدين العثماني والفرنسي)، ضمن كتاب ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر العصور، مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك، القاهرة 1421هـ / 2000م، ص572.

وكانت قوافل بسكرة تتجه إلى فقيق محملة بالحرير المنسوج المستورد من تونس، وبعض المصنوعات المحلية كالأقمشة الصوفية، وكانت تستورد هناك اثناء رجوعها المشاط **والطفل**[1]، والخيل ومواد البزازة والأسلحة، وبعض الاقمشة القطنية المستوردة من أوروبا، أما قوافل ورقلة كانت تتجه إلى تافيلالت وكانت تحمل معها بعض البضائع المتمثلة في المصنوعات المحلية كالمصنوعات الصوفية والمنسوجات، وبعض السلع المستوردة كريش النعام ، وأثناء الرجوع كانت تأتي بالجلود الفيلالية والخيل والأسلحة[2]. كما كان لقافلة بني ميزاب دورا بارزا في تجارة القوافل الصحراوية، حيث كانت قوافلهم تتجه نحو المناطق الشمالية، وقد إحتكر المزابيين التجارة الخاصة بالتبر وريش النعام، والتمور وتجارة العبيد، وذلك بعد أن حصلوا على إمتيازات من طرف الحكومة التركية بالجزائر بمنحهم حرية التجارة في الداخل والخارج[3]،كما تتجه القوافل المزابية الى حاضرة توات، حيث تقوم بمبادلة بضائعها بالتمور التواتية[4]. ويذكر بيسونال الذي زار تونس سنة 1724م، ان قافلة **فاس**[5] كانت تنطلق في كل سنة من المغرب الأقصى باتجاه تونس، وكانت هذه القافلة تحمل معها من البضائع النقود الذهبية والبرانس والنحاس، وأثناء عودتها تأخذ معها من تونس الشواشي والحرير[6].

[1]- **الطفل** : نوع من التراب كان يستعمل في التنظيف كالصابون ،يظر: عمار بن خروف: نفس المرجع،ص59.

[2]- محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري،في الفترة مابين1792-1830م،ط3،دار الحكمة،الجزائر،2014م،ص176.

[3]- صالح بوساليم وبالحاج اوزايد: (تجارة القوافل بين الجزائر وأفريقيا جنوب الصحراء في العهد العثماني ودورها الحضاري)، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع 2، 2017م, ص117.

[4]- فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص71.

[5]- **فاس**: أسست المدينة أيام الخليفة هارون الرشيد عام 185هـ، ويخترق المدينة نهر يقال له 'سان'، ويرجع البعض ان سبب تسميتها 'فاس' يرجع الى ذلك النهر،أسسها ادريس وهو من أقرباء هارون الرشيد، يحيط بالمدينة اسوار متينة عالية، للمزيد ينظر: حسن الوزان: المصدر السابق،ج1، ص ص 218 222.

[6]- الإمام رشاد:سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814، رسالة مقدمة لنيل متطلبات الدكتوراة في الفلسفة ،الجامعة الأمريكية ،بيروت،دت،ص 320.

2.قوافل ركب الحجيج:

لم يكن الحج رحلة دينية فقط فقد كانت قوافل ركب الحج يصاحبها بعض التجار، وكانت هذه القوافل تتجه سنويا إلى البقاع المقدسة لحج بيت الله الحرام، ولهذه القوافل أهمية كبيرة على صعيد المبادلات التجارية[1]، وتعتبر قوافل الحج من أكبر القوافل، بحيث كانت تنطلق من مدينتي **فاس وتازة**[2] بالمغرب الأقصى وعلى مر الطريق كان يتزايد حجمها، حيث تنضم اليها بعض قوافل التجار والحجاج من الجزائر وتونس وطرابلس وبلاد السودان[3]، حيث تصل إلى مكة أين يتجمع الحجاج في المعرض التجاري الهائل الذي يقام هناك[4]، وكان الحجاج يحملون معهم أثناء ذهابهم للحج بضائع بلادهم، ويقومون بمبادلتها بمنتوجات البلدان التي يمرون بها، ويشترون عند عودتهم بضائع المشرق والمناطق التي يمرون بها، وكانت المبادلات التجارية تتم مع أهالي تلك البلدان ومع الحجاج، كما أنها داخل المدينة لذلك أطلق على قافلة الحج إسم **مدينة متنقلة**[5]، حيث كان الحجاج يتاجرون مع سكان كل مدينة أو قرية يمر بها الركب[6]، وهذا ما أكده لنا الرحالة المغربي العياشي عندما دخل قرية **تسابيت**[7] بتوات، حيث قال: "واقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا واشترينا ما نحتاج اليه من التمر..."، وفي موضع آخر قال: "وسبب اقامتنا في هذه البلاد وفي هذه المدة أن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت اخروا الصرف الى توات فإن الذهب فيها ارخص وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر..."[8] .

---

[1]- عمار بن خروف: المرجع السابق, ص65..

[2]**– تازة:** مدينة مغربية تقع بين الريف والأطلس الأوسط، تعتبر قاعدة أقليم تازة، تعتبر مركز فلاحي، يوجد بها جامع يعود إلى عهد الموحدين، ينظر: يحي ثامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية،ط1،دار الفكر العربي،بيروت،1993م,ص212.

[3]- أمين محرز: الجزائر في عهد الاخوات 1659-1671، د.ط، دار البصائر الجديدة، الجزائر،د.ت، ص198-199.

[4]- رشيد حفيان، المرجع السابق، ص59

[5]- بدر الدين شعباني: (دور رحلات الحج في الفكر العسكري لدى الأمير عبد القادر الجزائري،مدينة الزمالة انموذجا)، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 2، ع10،الجزائر، 2019، ص149.

[6]- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص184.

[7] - **تسابيت:** تقع على بعد 35 كيلومترا جنوب غرب مقاطعة الدرامشة، تبعد عن وادي مسعود 40كيلومتر, وتشمل احدى عشر قصرا. للمزيد انظر: محمد الصالح حوتية: توات والازواد ،د ط، دار الكتاب العربي،الجزائر، ج1،ص31.

[8]- العياشي، المصدر السابق،ص79.

كما كان التواتيين كذلك يشتركون في قوافل الحجاج وكانت قافلة الحج التواتية تنطلق من مقاطعة عين صالح وتمر بغات، ولما تصل القافلة الى مرزق تمكث بها لمدة 25 يوما، يبيع فيها الحجاج بضائعهم ويشترون من أسواقها بعض البضائع التي يحتاجونها، بعدها تواصل القافلة سيرها إلى الأراضي الحجازية[1]، كما تعتبر قافلة الحج وسيلة للنقل البضائع من مختلف الأماكن وهنا يذكر زعيم **جبل غريان**[2] أن له علاقات تجارية مع مدينة طرابلس، وقد إستغل هذا الشيخ مرور القافلة الحجاج المراكشين، أثناء عودتهم إلى بلادهم وبعث معها إلى أحد أصدقائه في طرابلس بضاعة قدرت بـ 10 قناطير من الزعفران[3]، ويمثل موسم الحج فرصة التجار، بحيث يمثل ركب الحج حاجزا لهم اذ يوفر لهم الحماية من الاعتداءات، وكذلك التمتع بالإعفاءات الجمروكية حيث يقول المثال: **"حج مبرور وذنب مغفور وتجارة لن تبور "**[4].

ثانيا: مكونات القافلة وهيكلتها:

يقود القافلة مجموعة من الأفراد، معتمدين على الوسيلة الأساسية للنقل البري والتي تتمثل في الحيوانات التي يتم إختيارها وفق خصائص وشروط معينة اهلتها لإن تؤدي هذا الدور لذا وجب علينا الوقوف على مكونات القافلة سواء البشرية منها او الحيوانية[5].

أ. المكونات البشرية:

1. الدليل: ويسمى الخبير أو المنير[6] هو أهم شخصية في القافلة، وتعتبر مهمته أصعب مهمة فحياة القافلة ترتبط بقدراته وكفاءاته، ولابد أن تتوفر في الدليل عدة شروط والتي منها:

---

[1]- عبد الله كروم: الرحالات بإقليم توات، دراسة تاريخية أدبية للرحالات المخطوطة بخزائن توات، عاصمة الثقافة العربية، دحلب، 2007م، ص27.

[2]- **جبل غريان:** وهو امتداد لجبل يفرن من جهة الشرق، يبعد عن طرابلس بمائة كيلو متر جنوبا، ينتج الكثير من الشعير والتمر والتمر الممتاز ويكثر فيه الزعفران، لمزيد ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج2،ص106.

[3]- شارل فيروا: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي تر.وتح: محمد عبد الكريم الوافي، ط3،جامعة قاز يونس، بنغازي، 1994، ص328.

[4]- رشيد حفيان، المرجع السابق،ص60.

[5]- نفسه ،ص 62

[6] Daumas :Grand désert .Itinéraire dune caravane ; du sahara au pays des négres ,Royaume de de haussa ;paris ,1848 ;p:1

- إلمامه الكافي ومعرفته الدقيقة للطرق والمسالك الصحراوية؛
- له دراية بأماكن تواجد الآبار والمراعي ؛
- له القدرة على التفاوض مع قطاع الطرق؛
- الذكاء والقدرة والشجاعة.

والدليل هو المسؤول عن حماية القافلة من كل المخاطر التي تواجهها عدا الطبيعية منها كالزوابع والجفاف [1]، وهو مجبر على دفع الدية عمن يموت او يته أو يقتل من أفراد القافلة، ويتعرض الدليل للعقاب إذا لم يستطع حماية القافلة والدفاع عنها من وجه اللصوص أو إذا فقدت الماء في طريقها[2].

ومن شروطه إيصال القافلة إلى غايتها المقصودة[3]،وللدليل كذلك معرفة جيدة للمسالك الصحراوية وله دراية بالنجوم ومنازلها[4]، حيث يقول ناصر الدرعي في رحلته للحج : " وإستأجرنا هنالك رجلا يهدينا الطريق إلى أبي سمغون بمثقال إسمه محمد بن عيسى..."[5] .كما أن له خبرة بمعرفة بمعرفة المكان الذي وصلوا إليه دون أن يضل الطريق وذلك بواسطة مقبض عشبة يتذوقها، أو بتفحص قبضة من تراب يشمها[6].

2.الحراس: هم مجموعة من الأشخاص هدفهم الحرص على القافلة خوفا من أي تعثر او ضياع للمسافرين، من جراء العواصف الرملية[7]، وهم مكلفون بحماية القافلة والدفاع والدفاع عنها أثناء سيرها وإبعادها عن أماكن الخطر والطرق الغير آمنة[8]،

---

[1]-زهرة طموح : (تنظيم القافلة خلال القرن 19م)،اعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع عبر تاريخ المغرب ،ج2،جامعة الحسن الثاني ،كلية الأدب والعلوم الإنسانية،الدار البيضاء ،21-23فيفري 1989م ص ص 295 297.

[2] -Daumas : grand de désert :Op .cit ;p 3

[3]- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق, ص68.

[4]- محمد صالح حوتية: المرجع السابق, ص142.

[5]- احمد بن محمد بن ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية 1709-1710م، تح.وتق: عبد الحفيظ ملوكي، ط1، دار السويد للنشر للنشر والتوزيع، ابوظبي،2011م، ص126.

[6]- نفيسة بلخضر، المرجع السابق ص61.

[7]- زهرة طموح، نفس المرجع، ص299.

[8]- محمد صالح حوتية: الكنتة، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين 13/12هـ،ط1،دار الكتاب العربي،الجزائر, 2008م, ص103.

ويجب أن يكون الحراس رجال أقوياء اشداء محاربين، وينتمون الى قبائل متنوعة حتى يكثر أنصار القافلة ويصعب الاعتداء عليها[1].

3.الوكلاء: وهم من العناصر المهمة في القافلة وعادة ما يتم إختيارهم على أساس قرابة الدم والنسب ويتمثل دورهم في الاهتمام بالمصالح التجارية وإعداد البضائع وأخبار القوافل بتقلب الأسعار في السوق والسلع المطلوبة، وأوضاع الحركة التجارية وتغيراتها، ويتم إختيارهم لعدة أسباب من بينها بعد المسافة بين المراكز التجارية، وبغية تحقيق الربح لذلك يجب على التجار أن يكون لهم وكلاء في مختلف المراكز التجارية لتزويدهم بحركة الأسواق[2].

4.الشواف: مهمته مساعدة الدليل ويشترط فيه أن يكون حاد النظر لكي يتمكن من رصد أي تحرك قادم من بعيد لعدو أو صديق[3].

5.الطبيب: وهو شخص له علم بالأعشاب التي يمكن أن تفيد المرضى اثناء السفر[4]، ويقوم بمعالجة مختلف الأمراض بما فيها لسعات العقارب والثعابين بالأعشاب الطبية التي يحملونها أو بعض الأعشاب التي يلتقطونها في الصحراء.

6.الخوجة (الكاتب): الذي يوثق الصفقات ويتأكد من مطابقتها ويكتب بنودها، وفي حالة وفاة أحد المسافرين يتكفل به وبمراثه.[5]

7.البراح: الذي يقوم بالإعلانات

8.المؤذن: الذي ينادي للصلاة في أوقاتها .

---

[1]- يحي بوعزيز: تاريخ افريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 الى مطلع القرن 20م،دط،دار البصائر،الجزائر،2009م،ص45.

[2]- رشيد حفيان: المرجع السابق, ص67.

[3]- احمد ذكار، المرجع السابق، ص61.

[4]- صالح بوساليم: ا لمرجع السابق، ص 179.

6-احمد ذكار: المرجع السابق ،ص61

9.الإمام: يؤدي الصلاة بالمسافرين وهو المكلف بالموتى ،ويقوم بتسجيل تركتهم[1].

10.الفقيه: وهو شخص له معرفة بالعلوم الشرعية، فيستفتي في التساؤلات التي توجه له من طرف الناس[2]، ويقدم الدروس في المواعظ والإرشاد، ويحل النزاعات بين افراد القافلة[3].

ب.المكونات الحيوانية:

1. **الجمال:** يعتبر الجمل الوسيلة الهامة للتوغل في الصحراء، وبفضله أصبحت الصحراء منطقة عبور للتجارة بين البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا جنوب الصحراء, وبين شمال افريقيا وجنوبها[4]، وقد حطم ظهور الجمل واستخدامه كوسيلة للنقل في الصحراء كل الحواجز والعراقيل، بما فيها الرمال الزاحفة في الصحراء، حيث لم تعد تلك الرمال حاجزا يعيق التجارة الصحراوية[5]، وهو وسيلة لنقل الحجاج فقدكانت قافلة الحج التي تخرج من مدينة الجزائر في آواخر العهد العثماني تتألف من 15000 رجل و8000جمل[6]
2. **الخيل والبغال:** يعتبر الخيل والبغال من أهم المكونات الحيوانية للقوافل التجارية فهي تأتي في الدرجة الثانية بعد الجمل،كما تعتبر من اهم الوسائل لنقل السلع والبضائع و الأشخاص عبر الطرق البرية، وذلك لقدرتها على حمل الاثقال[7].

كما أن للبغال أهمية كبيرة خاصة في الصحراء، وذلك لضخامتها وقوتها وقدرتها على الكر والفر[8] .

---

[1]- اوجين دوما: (الصحراء الكبرى) ، طريق القافلة من الصحراء إلى مملكة الهوسا 1848م، ضمن كتاب الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في اواسط القرن التاسع عشر،المرجع السابق،ص87.

[2]- محمد صالح حوتية: توات والازواد، ج1، المرجع السابق، ص142.

[3]- فاطمة علي امحمد احويلات: المرجع السابق،ص86.

[4]- إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت،ص ص33-34.

[5]- الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 الى بداية القرن19م،ط1 الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،1999م،ص336.

[6]- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984 ، ص73.

[7]- رشيد حفيان: المرجع السابق، ص70.

[8] يحي بوعزيز :تاريخ أفريقيا الغربية.....المرجع السابق ،ص46.

ثالثا: تنظيم القافلة:

كانت القوافل التجارية الصحراوية العمود الإقتصادي لسكان المدن، وهذا ما يتطلب وضع خطط لتنظيمها[1]، وكانت هذه القوافل تصل في بعض الأحيان الى ألفي جمل، جزء منها يحمل البضائع والجزء الاخر يحمل الماء والزاد والباقي لا يحمل إلا الماء فقط [2].

1. عدد الجمال:

لم يكن عدد الجمال في القافلة الواحدة ثابتا عبر الأزمنة، فقد قدر ابن خلدون عددها في القرن 14م بإثنا عشر الف جمل، إلا أن هذا العدد انخفض كثيرا بعد ذلك، حيث يذكر الرحالة الفرنسي كاييه في عشرينات القرن 19م، أنه سافر في قافلة بها حوالي ستمائة جمل[3]، فمثلا كانت قافلة غات الواحدة تصل الى حوالي 5200 و400 بعير، وقد تصل في بعض الأحيان الى الف بعير[4]، أما قافلة قافلة الحج التي تخرج من مدينة الجزائر في آواخر العهد العثماني تتألف من 8000 جمل[5]، ولا شك ان طبيعة القافلة هي التي تحدد عددها، فقد يصل عددها الى 20 او 30 جملا خاصة بين المدن التجارية والداخلية[6].

1. تجهيز القوافل:

يتم تجهيز القوافل من قبل التجار، وتتكون هذه القوافل من عدد كبير من الرجال والدواب خوفا من قطاع الطرق اثناء الرحلة[7]، وتتجمع هذه القوافل في أماكن محدودة للعبور بشكل جماعي، وعادة ما تكون هذه الأماكن على أطراف المراكز التجارية لتفادي الإزدحام أثناء تجهيز القوافل[8]،ويتم القوافل[8]،ويتم تزويد القوافل بالحبال لحزم البضائع ولربط الجمال، وتوفير الاكياس التقليدية التي تصنع

[1]- فاطمة علي امحمد احويلات : المرجع السابق، ص83.

[2]- الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص76.

[3]- صالح بوسليم و أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص102.

[4]- نجمي رجب ضياف: المرجع السابق، ص180

[5]- ناصر الدين سعيدوني وا لشيخ المهدي بوعبدالي: المرجع السابق، ص73.

[6]- فاطمة علي امحمد احويلات : نفس المرجع، ص83.

[7]- نفسه ص 83.

[8]- محمد بن ساعو: التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن 7-10هـ/13-15م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، اشراف مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر،باتنة، 2013-2014م، ص83.

من جلد الحيوانات، ويتم من خلالها حمل السلع، إضافة إلى **القربة** التي تملأ بالماء وتعلق بالجمل، والمؤونة الغذائية التي تغطي حاجة القافلة طيلة السفر والتي تتكون من طعام واللحم المجفف والسكر والسميد والعديد من المواد، والأسلحة للدفاع عن القافلة في حال تعرضها لقطاع الطرق، وبعدما يكمل تحضير القافلة يحدد يوم خروجها[1].

1. نظام سيرها:

عادة ما كان سير القافلة يتم في الليل، حيث كانت الظروف الطبيعية تتحكم في سيرها، فإذا كانت الحرارة مرتفعة فإن القافلة تسير في الليل، وتنصب خيامها في النهار لتستريح[2]، وتستغرق القوافل التجارية في رحلتها فترات طويلة قد تصل إلى شهور، وغالبا ما كانت تبدأ رحلتها في فصل الشتاء، تجنبا لإشتداد الحرارة في الصحراء خلال فصل الصيف[3]، وكانت القوافل تتوقف في بعض الأحيان في بعض الأماكن للاستراحة، أو تناول وجبة الغداء أو من أجل الصلاء، ثم تواصل سيرها إلى ما بعد المغرب حيث تتوقف للمبيت قرب محطات تتوفر على الماء، ويتم تجريد الجمال من الأحمال وتترك لترعى إلى غاية الصباح، ثم تنطلق الرحلة من جديد، بعد أن تتزود بالماء[4]، وهنا يقول الرحالة الحضيكي أثناء دخولهم لمنطقة الزاب في رحلته للحج: " وبتنا في خلاء بينها وبين مدينة بسكرة على ساقية من ماء تجري ثم لما أصبح الصباح غسلنا الرحل وذهبنا"[5].

2. وصول القافلة:

يعتبر وصول القافلة الى أحد المراكز التجارية مناسبة حيوية، وعند وصول القافلة يقوم التجار بإنزال حمولتها وتمكث مدة من الزمن في تلك المراكز للقيام بأعمال البيع أو المقايضة، إذ يقوم التجار بعرض بضائعهم ويختارون بعض البضائع المتواجدة في تلك المراكز، حيث تتم المبادلات التجارية بين التجار والأهالي منذ وصول القافلة إلى ان تغادر[6]. حيث يصف لنا العياشي اثناء دخولهم لورقلة

---

[1]- احمد ذكار، المرجع السابق، ص62

[2]- محمد بن ساعو: نفس المرجع،ص84.

[3]- صالح بوسليم : المرجع السابق،ص180.

[4]- احمد ذكار: المرجع السابق، ص63.

[5]- ابي عبد الله محمد بن احمد الحضيكي السوسي: الرحلة الحجازية 1189هـ، تع: عبد العالي لمدبر،ط1،مركز الدراسات والأبحاث واحياء التراث ، الرباط ،المغرب، 1432هـ/2011، ص 86.

[6]- نجمي رجب ضياف : نفس المرجع السابق،ص182.

وصول إحدى القوافل التجارية للمنطقة إذ يقول " وكان من لطف الله بالحجاج أن صادف دخولهم قافلة من أعراب الأرباع قدمت بسمن كثير وغنم وإبل وزرع إشترى الناس ما أحتاجوا إليه بإرخص ثمن...وقدمت أخرى بعدها بيومين تحمل مثل ذلك وأكثر...وإشترى الحجاج غنما كثيرة.."[1]

حيث قدم لنا العياشي صورة عن المبادلات التجارية لسكان المنطقة مع بعض القوافل التجارية ومع الحجاج انفسهم.

المبحث الثاني: المخاطر والصعوبات التي تواجه القوافل ودور القبائل الصحراوية في تجارة القوافل واهم الحلول

أولا: المخاطر والصعوبات:

1. **انعدام الأمن:** كثيرا ما ينعدم الأمن في الطرق البرية خاصة في المناطق الصحراوية، بسبب إنتشار قطاع الطرق مما يؤثر سلبيا على حركة التجارة بين البلدان[2]، ولأن التجارة في الصحراء لم تكن تخضع لإجراءات الحدود والتفتيش، وللإشراف الحكومي فإن التجار يواجهون العديد من المخاطر بما في ذلك خطر السطو والنهب، فالقوافل تقطع مسافات شاسعة في ظروف مناخية صعبة، لذلك فهي مضطرة إلى سلك طرق تحتوي على آبار ونقاط المياه، وهذا ما إستغله قطاع الطرق وبعض القبائل التي تعيش على السلب والنهب[3]، وعادة ما يكون إختلال الأمن في الطرق الصحراوية بفرض الأتاوات من قبل القبائل على التجار، وكما يزداد جشع تلك القبائل وترفع قيمة الاتاوات، وينتهي الأمر باعتراض طريق القوافل والسطو عليهم[4].

ولم تكن ظاهرة اللصوصية حديثة في البلدان المغاربية ولم تكن وليدة الفترة محل الدراسة، فقد أشار حسن الوزان إلى هذه الظاهرة خلال القرن 16م خاصة بين الطرق الرابطة بين الجزائر والمغرب حيث وصف الطريق المؤدية من فاس الى تلمسان اذ يقول " قالما ينجوا التجار من شرهم لا سيما في

[1]- العياشي : المصدر السابق ،ص114.

[2]- عمار بن خروف: المرجع السابق ص70.

[3]- إسماعيل العربي: المرجع السابق ص49.

[4]- صالح بوسليم وعبد القادر علواني: (تجارة القوافل الصحراوية بين الجزائر وطرابلس الغرب) ، مجلة الحوار المتوسطي، ع2، الجزائر، ديسمبر 2017، ص150.

فصل الشتاء لإن الأعراب المستأجرين للحفاظ على الأمن في البلاد يكونوا قد رحلوا عنها إلى نوميديا"[1].

أما في القرن 17م فقد أشار الرحالة العياشي أثناء رحلته لأداء فريضة الحج إلى حالة الرعب التي كان يعاني منها الحجاج وتخوفهم من قطاع الطرق قائلا: "فلما تجاوزنا حصلت للركب روعة لخبر ما اخبروه أن بإزائهم قوم من العرب يريدون الإغارة، فشمر الناس للقتال وأخرجوا عدتهم ،وهيؤا الة حربهم فلم يلقوا كيدا..."[2]

أما خلال القرن 18م فقد أشار الرحالة الحضيكي لتعرضهم لقطاع الطرق اثناء خروجهم من سيدي خالد في طريقهم إلى بسكرة حيث قال: " فلما ذنونا هناك فإذا بالخيال والرحال تخرج من خلالها متسلحة تركض نحونا.."،كما وصف **واد الناموس** اذ يقول: " ثم ارتحلنا وقطعنا واديا يقال له وادي الناموس، يكمن فيه السراق، ثم نزلنا واديا أخر يقال له غسران، وأعراب تلك البلاد سراق قطاع ينتهبون الحجاج كثيرا ويقطعون عليهم..."[3]، وبين الجزائر وتونس لم تسلم القوافل أيضا من هذه الظاهرة خاصة قوافل الحجيج، وقد كانت هذه الظاهرة منتشرة اكثر في المناطق الصحراوية، حيث عادة ما كانت تجارتها يعترضها قطاع الطرق من البدو والرحل **ومجموعة من القبائل كقبائل** الطوارق الملثمين، او **قبيلة ورغمة** حيث مارست هذه القبائل اعمال قطع الطريق على الأراضي التونسية[4] ويذكر ناصر الدرعي كثرة النهب والسرقة والاختلاس التي تتعرض له القوافل خاصة قوافل الحجيج في تونس وعمالتها، خاصة مدينة توزو حيث قال عنها: " فإنها اكثر بلاد الله سرقة وخطف"[5].

[1]- حسن الوزان: المصدر السابق،ج2، ص11

[2]- العياشي: المصدر السابق, ج1،ص112

[3]- الحضيكي، المصدر السابق, ج1،ص ص85-86.

[4]- رشيد حفيان: (آمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني)، مجلة الكان التاريخية، ع27، مارس 2015م، جمادى الأول 1436هـ، ص20.

[5]- ناصر الدرعي: المصدر السابق,،ص162.

كما ذكر السجلماسي أثناء رحلته لأداء فريضة الحج تعرض احد الركاب الى السرقة وذلك قرب بوسمغون قائلا: " وكان في الركب رجلا يحرس رحله بالليل فكأنه غلبته عيناه، فأخذ سارق مدفعا من يده، وسلبه برنسه وهرب"[1].

ويذكر الرحالة رولفس تعرضه لسرقة من طرف قبائل أولاد بوعنان اثناء رحلته إذ يقول: " علمت أن أولاد بوعنان من ذوي منيع قد سرقوا كل مؤونة سفري من تمر ودقيق وقمح وسكر وعدة أغراض كانت بحوزتي، الأمر الذي إضطرني إلى أن اطلب ضيافة مرابطي زاوية كرزارة "[2].

1. قلة الماء:

عادة ما تسلك القوافل التجارية في الصحراء طريقا تتخلله الأبار ومواقع المياه، ذلك لأن الماء الذي تحمله الجمال لا يكفي للمسافرين خلال مدة السفر[3]. ولكن في كثير من الأحيان يحدث أن لا يعثر الدليل على هذه الأبار بسبب ضياع علاماتها الإشارية أو ردمها بالرمال نتيجة الزوابع أو بفعل قطاع الطرق[4]، وقد أشار العديد من الرحالة إلى تعرضهم إلى مشكل قلة الماء في طريقهم إلى الحج، حيث يصف الورتلاني السروال: " أنها اصعب شيء في طريق الحج لإنعدام الماء فيه"[5]، ويذكر الدرعي تركهم للطريق المعتاد لشدة الحر وقلة الماء فيه إذ يقول " وصلنا للحفيرة ذات مياه عذبة غزيرة، وتركنا طريق العادة لشدة الحر وقلة الماء بها "[6].

[1]- ابي العباس الهلالي السجلماسي :رحلة التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم، قطعة من رحلة العلامة أبي العباس الهلالي السجلماسي المتوفي1175هـ، دراسة وتح: محمد بوزيان بنعلي،دط،دن،دت،ص 162.

[2]- رمضان حينوني: (معاملة الأجنبي بمنطقة الساورة في القرن 19، قراءة في مذكرات الرحالة غيرهارد رولفس) ،مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع42،المركز الجامعي تمنغست،الجزائر،2018، ص161.

[3]- صالح بوسليم وعلواني عبد القادر: المرجع السابق،ص149.

[4]- احمد ذكار: نفس المرجع السابق، ص64.

[5]- صالح بوسليم و علواني عبد القادر: المرجع السابق،ص149

[6]- ناصر الدرعي: المصدر السابق،ص96.

كما يذكر الرحالة العياشي في رحلته المسماة ماء الموائد اثناء سلوكهم الطريق بين السواني وبرج الملح بقلة الماء فيه إذ يقول: " وبتنا الليلة ...الطريق بين سواني وبرج الملح لا تخلوا في الغالب من ماء المطر إلا ان الطريق لما كانت مسلوكة لا يوجد فيها غالبا الا ماء قليل..."[1].

1. العواصف والرياح:

عادة ما تقطع القوافل مسافات طويلة في الصحراء القاحلة حيث تتعرض أثناء رحلتها لكوارث الرياح والعواصف التي كثيرا ما تقضي على القافلة بأكملها، ويذكر **موروا** أن رياح الجنوب داهمت إحدى القوافل القادمة من تمبكتو سنة 1805م، وكانت مكونة من 2000 رجل و1800 جمل، فشربت المياه من طريقها ولم ينجو أحد منها[2]. كما تتسبب الرياح والعواصف في كثيرا من الأحيان إلى محوا آثار المسالك واحداث أضرار كبيرة للقوافل[3]، لأنها تحمل ذرات من الرمل الذي يدخل بين الثياب والجلد ويملأ العينين والأنف والفم وهنا يذكر إسماعيل بوضربة[4]، اثناء رحلته الى غات 1858م في قافلة تعرضهم إلى مشكل الحر والرمال إذ يقول: " فضلا على أن شدة الحر جعلتنا مجبرين على التوقف، كدنا نختنق تحت خيامنا وزاد من معاناتنا الرمل الذي يحمله القبلي والذي يدخل بين الثياب والجلد ويملأ العينين والأنف والفم، كما غطى التمرات القليلة التي كانت غذائنا"[5]

2. التيه في الصحراء:

تتسبب حركة الرمال في الصحراء في طمس معالم الطريق مما يؤدي إلى ضياع القافلة ككل أو جزء منها لذلك لا بد من أخذ دليل له خبرة ودراية بالمسالك وحركة الرمال[6]، وقد يحدث في بعض الأحيان أن يتيه الدليل أو يموت في الطريق، مما يؤدي إلى ضياع القافلة ككل أو هلاك كثيرا من

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد ،محمد عبد الهادي شعيرة، محمود حسن عطية السعران، نبيلة محمد حسن:ا لرحلة العياشية–ماء الموائد–،،ليبيا،طرابلس ،برقة،،منشأة المعارف،الإسكندرية،1996م.

[2]– محمد العربي الزبيري : المرجع السابق، ص163.

[3]– نفيسة بالخضر: المرجع السابق، ص67.

[4]– **إسماعيل بوضربة:** هو إسماعيل بن احمد بوضربة من ام فرنسية، تزوجها ابوه بمرسيليا،ولد عام 1823، درس إسماعيل بفرنسا، وخدم في الجيش الفرنسي واصبح مترجما 1853م، ورقي إلى رتبة ضابط مترجم رسمي 1872م. للمزيد ينظر:الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية اواسط القرن 19م،المرجع السابق،ص252.

[5]– نفسه:ص171.

[6]– نفيسة بلخضر : المرجع السابق، ص68.

أفرادها عطشا[1]. وهنا أشار الرحالة ناصر الدرعي لتعرضهم لضياع في الطريق بين المغرب والجزائر حيث يقول: " وضل الدليل عن الطريق...ووقفنا في عقبة صعبة الهبوط جدا، وقنط الناس...وسرنا بعد ان صبرنا حتى هبط الركب عن اخره وتاه جل الركب..."[2]

ثانيا: دور القبائل الصحراوية في تجارة القوافل وأهم الإجراءات والحلول المتخذة ضد المخاطر التي تواجه القوافل.

اولا:دور القبائل الصحراوية في تجارة القوافل:

لعبت بعض القبائل الصحراوية كالشعانبة والتوارق والخنافسة دورا بارزا في تسيير القوافل التجارية[3]، فقد ساهم الشعانبة في تسير القوافل التجارية وتوفير الأمن لها بحمايتها من قطاع الطرق وكذا تزويدها بالجمال[4]،وقد كانت هذه القبائل تتولى تجارة القوافل الصحراوية بين البلدان المغاربية، وكانوا يمارسون نشاطهم التجاري في المناطق الممتدة من عين صالح غربا إلى غدامس شرقا[5]، ونظرا لما تتعرض له القوافل من المشاكل والمخاطر الطبيعية كالزوابع والرياح وقلة الماء في الطريق، فقد أدى بقبائل الشعانبة[6]، إلى إحتكارهم تجارة القوافل بالعرق الشرقي وذلك لإعتبارهم أسياد الصحراء ولهم ولهم خبرة معرفة بمسالكها[7].

---

[1]- الحسن بولقطيب: (المصامدة والنشاط التجاري الى حدود قيام الدولة الموحدية) ، ضمن ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ ،جامعة الحسن الثاني ،كلية الأدب والعلوم والإنسانية ،الدار البيضاء،21 23 فيفيري1989م ،ج2، ص99.

[2]- ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص123.

[3]- محمد العربي الزبيري : المرجع السابق, ص188.

[4]- صالح بوسليم: المرجع السابق, ص171.

[5]- إسماعيل العربي: المرجع السابق, ص167.

[6]- **الشعانبة:** قبيلة عربية تنحدر من علاق بن عوف ،من سليم بن منصور،جاءت إلى افريقيا الشمالية مع الغزو الهلالي خلال القرن الخامس الهجري، للمزيد ينظر: الشيخ لكحل: مقاومة منطقة الشعانبة للإستعمار الفرنسي 1851.1908م،ط1،دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، غرداية،2019م ص 33

[7]- عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة واد سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف: يوسف مناصرية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005-2006م،ص46.

ومن أهم الأسواق التي كانوا يترددون عليها لتبادل التجاري هي سوق **وادي ميزاب**[1]، ومتليلي وتيميمون وتوات وغدامس، حيث يبيعون لهم منتجاتهم كالتمور والزبدة والصوف ويشترون في المقابل الصوف والألبسة والزيوت، وقبائل الشعانبة عكس القبائل الأخرى فهم لا يقصدون أسواق[2] .

أما التوارق فقد مارسوا هم كذلك نفس الدور الذي مارسه الشعانبة في تجارة القوافل، فكما إحتكر الشعانبة صحراء الرق وكانوا هم أسيادها ،إحتكر التوارق صحراء الرق وكانوا هم أسيادها، فقد سيطر التوارق على المناطق التي تمتد إلى الجنوب حتى بلاد السودان[3]، كما سيطروا على الطرق التجارية التي تمر على بلادهم وذلك بفرض أتاوات على القوافل التي كانت تمر في مجال نفوذهم، وساهموا في تسيير القوافل وتزويدها بالجمال مقابل أجور[4].

وإلى جانب الشعانبة **والتوارق**[5] ساهمت قبيلة الخنافسة في تسيير القوافل وهنا يذكر العياشي في في رحلته أثناء خروجهم من أوقروت بتوات قاصدين واركلا إعتمادهم على رجل من عرب **الخنافسة** ، كدليل حيث يقول: " وكان رحيلنا من هذه البلاد صبيحة يوم الثلاثاء...قاصدين واركلا وخرج معنا جملة من أهلها قاصدين الحج...واخذنا على طريق وادي ايمكيدن و معنا رجل من عرب الخنافسة اكتراه امير الركب يدلهم على الطريق.."[6]

---

[1] – **وادي ميزاب**: عرفت منطقة ميزاب ببلاد الشبكة وتتكون من خمس مدن وهي العطف، بنورة، بني يسقن، مليكة، غرداية، يضاف اليها مدينتا القرارة على بعد 82 كلم شمال شرق غرداية، وبريان على بعد 48 كلم شمال غرداية. للمزيد انظر: بالحاج بن باحمد ناصر: النظم والقوانين العرفية بواد ميزاب في الفترة الحديثة، تق: إبراهيم بن بكير بحاز، جمعية تراث، غرداية، الجزائر، 1439هـ،2018م،ص30-31.

[2] – ارست كاريت: (دراسات حول الصحراء الجزائرية 1830)،ضمن كتاب الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في أواسط القرن 19، المرجع السابق، ص55.

[3] – صالح بوسليم وعبد القادر علواني: المرجع السابق, ص152

[4] – عبد الرحمن تشايجي: الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، مر: محمد الاسيطي، تر: علي اعزازي، تق: محمد الطاهر، الطاهر، منشورات مركز دراسة جهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي, طرابلس 1982, ص57.

5-التوارق :قبيلة بربرية تنتمي إلى صنهاجة ينقسمون إلى عدة عشائر منتشرة في الصحراء الكبرى بمالي وموريتانيا وشمال النيجر وتشاد ،وليبيا والجزائر ،للمزيد ينظر:محمد السعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى،ط2،مركز درسات وابحاث شؤون الصحراء ،القاهرة،1989م ،ص17-20.

6-العياشي: الرحلة ،مج1،المصدر السابق ،ص07.

أما في تونس فكانت قبيلة **ورغمة** هي التي تشرف على القوافل حيث ساهمت في تسيير القوافل ما بين تونس وغدامس[1]، وفي المغرب لعبت القبائل المعقلية دورا بارزا في تجارة القوافل الصحراوية بين الجنوب المغربي وبلاد السودان ،وذلك لمعرفتها للمسالك الصحراوية[2]

وإلى جانب الدور الإيجابي الذي لعبته هذه القبائل الصحراوية في تسيير القوافل التجارية إلا أنه لا يمكن إغفال دورها السلبي حيث ساهمت هذه القبائل في إنعدام الأمن الذي كانت تتعرض له القوافل أثناء سيرها، حيث مارست أعمال النهب والسطو ضد القوافل، وقد أشار العياشي إلى عرب أولاد نصر ناحية بسكرة وإعتمادهم أعمال السطو على قوافل التجار والحجاج حيث يقول: "...فسرنا على غاية من الوجل من عرب أولاد نصر لكثرة ما يخوفونا الناس منهم..."، وفي طرابلس يصف عرب **الجبل الأخضر**[3] فقال عنهم:" لا حرفة لهم بعد تنمية مواشيهم إلا النهب والغارة قل ما مر بهم ركب سلم من انشاب الحرب بينهم وبينه..."[4]، كما مارس التوارق أيضا اعمال النهب فغالبا فغالبا ما كانت القوافل المتجهة نحو توات تتعرض لنهب التوارق، كما كانوا يعترضون القوافل التي تمر في نفوذهم في فزان[5]، وعادة ما تقوم هذه القبائل بفرض اتاوات على القوافل فقد كانت القافلة التواتية التي تنطلق نحو تمبكتو[6]، تدفع اتاوات مالية لمشايخ قبائل التوارق نظير المرور بأراضيهم وتعرف وتعرف هذه الاتاوات باسم حق الطريق[7].

---

[1]- صالح بوسليم وعبد القادر علواني : المرجع السابق،ص151.

[2]- الحسين عماري : (دور القوافل الصحراوية في التجارة بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث) ، مجلة العصور الجديدة، ع19-20،جامعة وهران 01،أكتوبر،2015م، ص196.

[3]- **الجبل الأخضر**: يمتد في سهول برقة الشمالية الساحلية من الغرب الى الشرق على مسافة 400كلم،كثيرةالأشجار وينابيع المياه. للمزيد انظر: الطاهر احمد الزاوي: معجم البلدان الليبية: المرجع السابق، ص95.

[4]- صالح بوسليم وعبد القادر علوان: المرجع السابق، ص150.

[5]- نفسه،ص151.

[6]- **تمبكتو**: تقع على الحافة الجنوبية للصحراء على منحى نهر النيل، يعود تأسيسها الى قبائل الطوارق حوالي 948هـ/1087م وتعتبر اهم مركز تجاري وسوق يتوافد إليه التجار من كل البلدان من مصر وغدامس وفزان وتوات ودرعة وتفيلالت وفاس وسوس .للمزيد انظر: محمد الصالح حوتية: توات والازواد، ج1، المرجع السابق، ص40./كذالك:اسماعيل العربي :المرجع السابق ،ص305.

[7]- فرج محمود فرج : المرجع السابق،ص80.

ثانيا: الحلول والإجراءات المتخذة:

لقد واجهت الدول المغاربية هذه المشاكل بعدد من الإجراءات والتي منها:

- تزويد القافلة بالأسلحة الكافية لدفاع عن نفسها أثناء تعرضها لقطاع الطرق.
- تأليف القافلة من رجال أقوياء أشداء ومحاربين ينتمون إلى قبائل متنوعة حتى يكثر أنصارها ويصعب الإعتداء عليها
- فرض ضرائب متنوعة على العربان كضريبة العشر، وضريبة المرور، وإلزامهم بتقديم الرجال لخدمة القافلة وإرشادها حتى لا تغلق في وجههم الأسواق التي يترددون عليها.
- منح بعض القبائل إمتيازات مقابل الدفاع عن القوافل وتسيرها.
- ضرورة أخذ أدلاء لهم دراية جيدة بمسالك الطرق وأماكن تواجد المياه وظروف الأمن، وأماكن تواجد اللصوص واوقات تحركاتهم[1].
- وقد اهتم السلاطين السعديون وبعدهم العلويين بتأمين الطرق التجارية عن طريق بسط نفوذهم على المحطات التجارية حيث قام الشرفاء السعديون بعد حملة **المنصور السعدي**[2]، على بلاد السودان1591م بحاميات عسكرية في منطقة درعة، نظرا لأهميتها التجارية،كما اشرفوا على تنظيم القوافل ومراقبتها بإرسال بعثات عسكرية تسهر على حمايتها[3].

[1]- يحي بوعزيز : مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر،2009م،ص142.

[2]- **احمد المنصور السعدي1578-1603م**: احمد بن ابي عبد الله الشيخ محمد المهدي, ولد بفاس 956هـ /1549م وأمه تدعى مسعودة بنت احمد الوزكيتي الوارزاني، نشأة المنصور في عفاف وصيانة وتعاط للعلم ،بويع للحكم بعد إنتهاء معركة وادي المخازن مباشرة يوم الإثنين 986م/1578م وجددت له البيعة بفاس يوم الخميس 10جمادي الثاني986م،كان حاكما عظيما كبير الهمة بصير بشؤون السياسية، أ نشئ مجلس شوري ينعقد كل يوم أربعاء، يضم رجال الدولة وبعض الشخصيات، للنظر في الشؤون السياسية ،كما قام بإعادة تنظيم الجيش ،وقام بإخضاع بعض الأقليم الصحراوية التي خرجت من طاعتة خاصة توات وتيكورارين، مد نفوذه جنوبا إلى أقليم بلاد السودان ،حيث وضع يده على منابع الذهب في السودان لذلك لقب بالمنصور الذهبي، توفي يوم 1012هـ/1603م،ينظر:شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات ،الجزائر والمغرب الأقصى ،موريتانيا ،السودان،ط1،دار المعارف،القاهرة،1995م،ص293.، وكذالك :أحمد بن خالد الناصري السلاوي: المصدر السابق،ص89.

[3]- الحسين عماري : المرجع السابق، ص201.

المبحث الثالث: الطرق والمسالك التجارية بين المدن الحواضر الصحراوية المغاربية

أولا: الطرق الرابطة بين المدن الحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والحواضر الصحراوية الجزائرية

إرتبطت الدول المغاربية بشبكة من الطرق التجارية التي ربطت أغلب الجهات بما فيها المراكز التجارية، الأمر الذي ساعد على قيام حركة تجارية نشطة بين البلدان، وغالبا ما كانت الطرق التي تسلكها القوافل التجارية، وخاصة قوافل الحج تبدأ من جنوب المغرب الأقصى مرورا بحواضر الجزائر وتونس وطرابلس وهنا نتساءل: فيما تمثلت الطرق والمسالك التجارية التي ربطت بين الحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والحواضر الصحراوية الجزائرية؟ وبين الحواضر الصحراوية الجزائرية والحواضر الصحراوية الليبية؟ وماهي المدة والمسافة التي كانت تقطعها القوافل بين هذه الحواضر؟

1.طريق فقيف– بسكرة: ينطلق من واحة فقيق بالمغرب الأقصى، وكانت القوافل تتبع الطريق الواسطى وأهم محطاته: الشلالة، البيض، الاغواط[1]، بوسعادة، بسكرة[2].

2.طريق تافيلالت– بسكرة–ورقلة: وهنا تتبع القوافل الطريق الصحراوي (طريق القصور) و كانت نقطة انطلاقه تافيلالت بالمغرب الاقصى نحو الشرق وأهم محطاته :بوسمغون ؛الغسول، عين ماضي[3]، تاجموت[4]، لغواط ،ومن هذه الأخيرة يتفرع الى جزئين: جزء يتجه نحو ورقلة مرورا بغرداية ثم يصعد شمالا ويمر بتماسين وتوقرت، وصولا إلى توزر ،أم الجزء الثاني يواصل سيره إلى بسكرة مرورا بسيدي خالد [5]، وهو نفس الطريق الذي سلكه الرحالة الحضيكي 1775م وناصر الدرعي1709-1710م.

---

[1]– **الأغواط**: هي مدينة من مدن الجنوب الجزائري ترتفع 792مترا عن البحر، تعتبر محطة للقوافل التجارية ومركز للتجارة. ينظر: توفيق المدني :كتاب الجزائر،ص193.

[2]– محمد العربي الزبيري: المرجع السابق ص176.**انظر الملحق رقم(7)**، ص101.

[3]**– عين ماضي**: واحة من الوحات الجزائرية ،بها مركز الزاوية التجانية الشهيرة التي أسسها سيدي أحمد التجاني. (للمزيد ينظر :أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر، المرجع السابق ،ص226).

[4]**تاجموت**:مدينة مكونة من مئة منزل تقع شمال عين ماضي تحتوي على مئة منزل تقع شمال عين ماضي تحتوي على الأشجار المثمرة والفواكه،ينظر: Dumas ; le sahara algerin. ; etudes géographiques ; statistiques ; paris1845 p27.

[5]– محمد العربي الزبيري :المرجع السابق ص184

3.طريق تافيلالت –توات –ورقلة –تقرت: وهنا تتبع القوافل طريق الواحات، أماعن أهم محطاته فقد سجلها لنا الرحالة العياشي في رحلته كما يلي: سجلماسة؛ عين العباس ، الرفاعية، وادجير، الساورة، طاية الحمار، قرية أجلي، قرى مازر، بني العباس، قرية بشير فم المدفع ،قرية تسابيت ،توات، اوكرت ، اولاد محمود، وادي إميكدن ، قرية والا، لقليعة، زيرارة ،الجديد ،الحمادة ،إن يتجه شمالا نحو ورقلة ويصل الى توقرت ،بعدما يمر بمكوسة ،ووادي ريغ، بلدة، أكرك، تماسين،

كما يتفرع من هذا الطريق بتجاه الصحراء الليبية مايلي:

طريق ورقلة غدامس

طريق ورقلة توقرت غات غدامس [1].

وكانت القوافل تسلك طريق الوحات من أجل تبديل العملة في توات لرخص الذهب فيها وكذا لتنوع السلع في أسواقها فغالبا ماكانت القوافل تشتري حاجتها من المؤون من الأسواق التواتية ،لتكمل سيرها نحو الشرق أو نحو بلاد السودان [2].وأهم مايتميز به هذا الطريق هو توفره على الماء ومحطات الإستراحة.

ثانيا: الطرق والمسالك التجارية الرابطة بين المدن و الحواضر الصحراوية الجزائرية و الليبية

1. **طريق واد سوف –غدامس:** يبدأ من جنوب بسكرة ويتجه الى واد سوف ومنها يتحه نحو الشرق بتجاه غدامس مرورا ببئر جديد وبئر سوف[3]، وهو طريق صعب حيث لا

[1]- رشيدحفيان: المرجع السابق ص28. **انظر الملحق رقم (1)**، ص95.

[2]- فرج محمود فرج: المرجع السابق ص69

[3]- صالح بوسليم وعبد القادر علوان: المرجع السابق ص145.**انظر الملحق رقم(6)**، ص100

تستطيع القافلة قطعه أقل من 13يوما [1]، ورغم صعوبة الطريق وبعد المسافة بين المدينتين إلا أن هذا لم يمنع سكان واد سوف من إقامة علاقات تجارية مع غدامس [2]،

حيث كانت معظم تجارتهم مع هذه الأخيرة بهدف جلب العبيد الذي كان تجار غدامس يستوردونه من بلاد السودان [3]، وكان تجار واد سوف يحملون لغدامس العملة وبعض المنتوجات والمصنوعات المحلية والمستوردة كالتمر وزيت الزيتون، والأقمشة الصوفية ،وفي المقابل يجلبون منها السلع بعض السلع المستوردة من بلاد السودان كالتبر وريش النعام والبخور والنترون[4].

2. **طريق ورقلة –غدامس:** ينطلق من ورقلة وأهم محطاته حسب الرحالة الأغواطي : قرية سيدي خالد[5]، حاسي الناقة 'العين' منطقة العاقرة ،محطة الطيبات، واد الأبتر، واد سوف ؛ عميش[6] ، وأخيرا غدامس ،ومن واد سوف إلى عميش تقطع القوافل مسافة يوم ،ومن عميش الى غدامس مسافة 8أيام [7]، وأهم ما يميز هذا الطريق أنه طريق صعب لا يمكن للقوافل قطعه أقل من 10أيام ،تواجه في طريقها عدة مخاطر كالكثبان الرملية ،وقلة الماء ،بحيث تقطع القافلة مدة ثلاثة أيام من السير عبر الفيافي دون العثور على الماء[8]،وكان تجار ورقلة يحملون إلى غدامس الأقمشة الحريرية والقطنية والتمر والحبوب وريش النعام والبخور [9].

---

[1]- الزبيري: المرجع السابق ص68

[2]- عثمان زقب: المرجع السابق ص213

[3]- الأغواطي : رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال أفريقيا والسودان والدرعية ،تر وتح: ابو القاسم سعد الله ،المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،الجزائر،2011ص96

[4]- الزبيري: المرجع السابق ص155

[5]- **قرية سيدي خالد:** تقع جنوب شرق ورقلة ،تسكنها قبيلة المرابطين 'وهي قرية مشهورة بزراعة النخيل وبعض المزروعات كالخضر ويرجع ذالك للثروة المائية الهائلة التي تمتلكها ، (ينظر E.Daumas : le sahara de algerai ;op,cit,p81)

[6]- **عميش:**قرية تقع على الحدود الجنوبية من واد سوف،رحلة الأغواطي ،المصدر السابق،ص96

[7]- نفسه ، ص ص95 96

[8]- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص68

[9]- عبدالكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 570.

3. **طريق وادسوف –غات:** يتجه مباشر إلى غات، على الرغم من أهمية غدامس باعتبارها منطقة حدودية تلتقي فيها قوافل تونس والجزائر وطرابلس، غير أن تجار الوادي يذهبون مباشرة إلى سوق غات هروبا من الضرائب التي كانت تفرض عليهم من طرف الإدارة العثمانية أثناء دخولهم لغدامس ،وتجنبا للإصطدام بالغدامسين لما بينهم من عداوة وتنافس[1].

4. **طريق تقرت –غدامس:** ينطلق من تقرت ثم يتجه شمالا ويمر بمحطة الفيض، اين تتجمع القوافل وهناك تنضم اليها قوافل بسكرة ، ويعود بعد ذلك إلى الجنوب الشرقي ،ليمر بواد سوف ،ثم يتفرع إلى فرعين ،الأول يتجه نحو نفطة والثاني يتجه جنوبا نحو غدامس بعدما يمر ببئر الجديد [2].

5. **طريق عين صالح –غات:** هناك طريقين الأول طريق جبلي صعب جدا لا يمكن قطعه أقل من 20يوم ، والثاني الطريق السهلي اطول من الأول ولكن أسهل منه، ويقطع حوالي 40يوم[3]. تعتبر غات مركز تجاري هام للتجارة الصحراوية حيث كانت لها علاقات تجارية مع بلاد بلاد السودان ،ومع حاضرة توات ، وكانت تأتيها في كل سنة في شهر أكتوبر قوافل من السودان الغربي محملة بالسلع كالعبيد وريش النعام والجلود والزبد والبخور السوداني[4].

6 . **طريق عين صالح– غدامس:** يقع في الاتجاه الشمالي الشرقي بالنسبة لتوات ،وتبعد عين صالح [5] عن غدامس مسيرة 30يوما حسب ما ذكره رولفس في رحلته [6]، كما يذكر أحد الباحثين أن المسافة بين غدامس وعين صالح 24يوما [7]، بينما تشايجي قدرها بـ 22 يوما [8]، وتعتبر عين صالح منطقة عبور للقوافل التجارية القادمة من مختلف الجهات ومقصد للقوافل

[1]– محمد العربي الزبيري: المرجع السابق ص164 180

[2]– رشيد حفيان :المرجع السابق ص3

[3]– **محمد العربي** الزبيري: المرجع السابق ص68

[4]– محمد بن عثمان الحشائشي :المصدر السابق،ص ص112 118.

[5]– **عين صالح**: تقع في منحدرات هضبة تادميت على بعد 50كم شرق إينغر و380كم جنوب غرب لمنيعة، وتعتبر مركزا من المراكز التجارية بأقليم توات : محمد الصالح حوتية : توات والأزواد ،المرجع السابق ص36.

[6]– صالح بوساليم: المرجع السابق ص 184

[7]– حسين جاجوا :المرجع السابق ص 59

[8]– تشايجي: المرجع السابق، ص 56

التجارية القادمة من غدامس ،حيث كانت هناك حركة تجارية بين المنطقتين رغم بعد المسافة بينها[1].

-أما بالنسبة لأهم طريق كان يربط المدن و الحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والحواضر الصحراوية الليبية هو طريق الحج ،حيث يربط تافيلالت بغدامس وغات وفزان ،وكان هذا الطريق ينطلق غربا من فاس إلى تافيلالت ثم توات ومنها إلى غدامس وغات وفزان ،وينطلق غربا من غدامس نحو تافيلالت بالمغرب الأقصى ،حيث يتجه نحو الجنوب الغربي ويمر بتوات، ومنها يتجه شمالا نحو فاس مرورا بتافيلالت ،وتقدر مسافته من غدامس إلى عين صالح ب 20يوما ،ومنها إلى تيمي 7أيام ،ومنها إلى تافيلالت حوالي 12يوما ،ومجموع المسافة بين غدامس وتفيلالت 39يوما[2].

وخلاصة الفصل نستنتج:

1.أن القوافل التجارية التي كانت تجوب بلاد المغرب العربي تنقسم إلى قسمين ،منها التجارية البحتة وقوافل ركب الحج التي لم يكن غرضها ديني فقط بقدر ما كان غرضها تجاري ،حيث كانت هذه القوافل تقوم بالمتاجرة مع مختلف المناطق التي تمر بها .

2. أن هذه القوافل تقودها مجموعات بشرية تختلف حسب مهامها كالدليل والحراس وغيرهم معتمدة على وسيلة النقل المتمثلة في الحيوانات كالجمل والخيل والبغال

3. أن هذه القوافل لابد لها من تنظيم محكم لبلوغ غايتها ؛ وذلك بتزويدها بالجمال لحمل البضائع وتزويدها بالمؤونة الغذائية التي تغطي حاجة القافلة طيلة السفر

[1]- صالح بوساليم: المرجع السابق ،ص 185

[2]حسين جاجوا:المرجع السابق،ص58.

4. تتعرض القوافل أثناء رحلتها لعدة مخاطر وصعوبات التي كانت تعرقل سيرها ،كانعدام الآمن في الطرقات ،بسب أعمال النهب والسطو من قبل قطاع الطرق ،وإنعدام الماء، والتيه في الصحراء، وكذلك الكوارث الطبيعية كالرياح والزوابع الرملية والحرارة .

5. انه كان للقبائل الصحراوية كالشعانبة والتوارق والخنافسة دورا كبيرا في تجارة القوافل الصحراوية، حيث كانت تقوم بتسير القوافل ،وكانت تزودها بالجمال وتقدم الأدلاء ،وفي نفس الوقت مارست هذه القبائل أعمال النهب والسطو ضد القوافل.

6. أن الدول المغاربية قد واجهت المشاكل التي تتعرض لها القوافل الصحراوية بجملة من الإجراءات كتزويدها بالأسلحة الكافية للدفاع عن نفسها من قطاع الطرق ،وتزويدها بأدلاء لهم معرفة جيدة بمسالك الطرق الصحراوية وأماكن تواجد الماء

7.أن هناك عدة طرق تجارية كانت تسلكها القوافل بين المدن و الحواضر الصحراوية المغاربية وكان لهذه المسالك دور في تنشيط الحركة التجارية بين هذه الحواضر ، وقد تحكمت عدة شروط في هذه المسالك كوفرة الماء والكلأ والآمن ، وقرب المسافة.

الفصل الثاني: المبادلات التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية المغاربية

المبحث الأول: أهم الاسواق التجارية

المبحث الثاني: أساليب التعامل التجاري داخل هذه الاسواق

المبحث الثالث: أهم السلع والبضائع المتبادلة بين المدن والحواضر الصحراوية

ساعد الموقع الجغرافي للمدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والجزائر وطرابلس الغرب ،أن تؤدي دورا بارزا في تجارة القوافل الصحراوية، خلال القرن18م وبداية القرن 19م بإعتبارها مراكز تجارية، ومناطق عبور للقوافل التجارية الوافدة إليها من كل الإتجاهات، وكان لهذه الحواضر أسواق تجارية تتمتع بنشاط تجاري واسع، وقد استخدم سكان هذه المناطق عدة أساليب في التعامل التجاري كالمقايضة والعملة.

وقبل الخوض في هذا الموضوع، يتبادر إلى أذهاننا طرح التساؤل الآتي: ماهي أهم الأسواق التجارية في الحواضر الصحراوية المغاربية؟ وماهي أساليب التعامل التجاري داخل هذه الأسواق ؟ وماهي أهم السلع والبضائع المتبادلة بين الحواضر الصحراوية؟ .

المبحث الأول: أهم الأسواق التجارية:

تعتبر الأسواق أو المراكز التجارية مكان عام يلتقى فيه التجار من مختلف المناطق للبيع والشراء وهي عصب الحياة الإقتصادية لأي منطقة .

أولا: اهم اسواق المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى:

1.سوق تافيلالت: يذكر مرمول أنها كانت مركزا تجاريا هاما ومحطة للقوافل التجارية العابر للصحراء و أن للمنطقة سوق تجاري كبير، يتوافد عليه التجار من كل الإتجاهات ،ويحتوي سوقها على أجود أنواع الجلود ،وبعض المصنوعات المحلية كالثياب المصنوعة من الحرير والصوف والزرابي[1] .

ويبدو من وصف الرحالة الحضيكي أثناء مروره عليها أنها تحتوي على عدة أسواق،حيث يقول :"ونزلنا بعد يومين سجلماسة ذات قرى كثيرة وأسواق ومياه ونخل وفواكه ومزارع ...فأشترى الناس إبلهم وأزوادهم ومأأحتاجوا إليه في طريقهم إلى مدينة طرابلس..."[2]. وتعتبر تافيلالت مركز تجاري ومحطة للقوافل التجارية القادمة من شرق وجنوب الجزائر، فقد كان تجار ورقلة يحملون إليها بعض

[1] مارمول كربخال :أفريقيا....، المصدر السابق،ج3،ص156.

[2] الحضيكي: المصدر السابق ،ص80.

المصنوعات الصوفية وريش النعام ،إضافة إلى بعض المنتوجات التي يستوردونها من تونس ،وكانوا يستبدلونها بالمنتوجات الفيلالية كالجلود والخيل والأسلحة[1].

2.سوق فقيق: تعتبر واحة فقيق محطة عبور للقوافل التجارية ،لاسيما تلك التي تمرها من سجلماسة نحو الشرق الجزائري وتونس ،كما أنها تعتبر مركز تجاري للمبادلات التجارية خاصة مع أسواق قسنطينة ،وورقلة وبسكرة[2]، ونقطة تجمع وانطلاق القوافل التجارية المتجه نحو توات أو نحو التل [3]. وكان للمنطقة سوق تجاري كبير يحتوي على البرانس وبعض المنتوجات.ويصف لنا السجلماسي سوقها عندما مر بالمنطقة في طريقه للحج، حيث يذكر أن سبب إقامتهم هناك هو التسوق مع أهل البلد حيث يقول:"وأقمنا هناك ثلاثة أيام الأولى منها للتسوق مع أهل البلد وشراء بعض المحتاج إليه من برانس وغيرها .وباع الناس هنا ما معهم من الجلد المصبوغ المحمول من بلدنا ...وإشترى الحجاج هنا برانس كثيرة بيضاء مخططة"[4]. ويجتمع داخل هذا السوق التجار الوافدين إليه من القصور المجاورة وأعراب المنطقة كقبائل حميان والعمور وأولاد جرير وذوي منيع، إضافة إلى الزائرين والمتبركين بأثار الأولياء الصالحين، مثل ضريح الإمام الشريف سيدي عبد الجبار الفجيجي[5].

[1] محمد العربي الزبيري :المرجع السابق ،ص 176.

[2] نفسه ،ص188.

[3] لويس دوكولومب: مذكرة عن واحات الصحراء والطرق المؤدية إليها، ضمن كتاب :الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية ،المصدر السابق، ص430.

[4] الهلالي السجلماسي: المصدر السابق، ص ص 147-148.

[5] محمد الكبير فقيقي:(الدور الاجتماعي والاقتصادي للقوافل التجارية والحجية بالصحراء الجزائرية أثناء الفترة الحديثة) ،مجلة دراسات،جامعة طاهري محمد بشار ،الجزائر ،ديسمبر2015م،ص 193

ثانيا: أهم أسواق المدن و الحواضر الصحراوية الجزائرية:

1.سوق ورقلة: تعتبر ورقلة محور رئيسي ومركزا هاما للتجارة الصحراوية منذدخول الإسلام لبلاد المغرب ،وإستمرت أهميتها طيلة الفترة العثمانية ،ومما أكسبها هذه الأهمية هو وقوعها على طريقين ،الأول هو الطريق المعروف بطريق الواحات والقصور الذي كانت قاعدة إنطلاقه تافيلالت بالمغرب الأقصى نحو غدامس بليبيا ،ويتفرع من ورقلة وتوقرت إلى غات وتماسين والقليعة والأغواط والزيبان.أما الطريق الثاني فهو طريق الذهب الذي لايقل أهمية عن الأول ،حيث كان هذا الطريق يمر بورقلة وتقرت ،وكان يربط دول المغرب الغربي بالمدن الرئيسية لمماليك السودان كأغاديس[1] وكانو[2]، وتمبكتوا، فبفضل هذا الطريق أصبحت ورقلة مستودعا وسوقا للتجارة الصحراوية ونقطة تجمع وإنطلاق القوافل التجارية.[3]

وكان لورقلة سوق تجاري كبير ذوشهرة كبيرة ،حيث كان يقصده التجار من كل الإتجاهات ،وكان مقسم إلى عدة أجنحة ،وكل جناح مخصص لبيع سلعة معينة وهي كالتالي:

-جناح العبيد :يتم فيه بيع العبيد

-جناح اللحم:يباع فيه اللحم

-جناح للبيع الحطب

-جناح لبيع التمر بمختلف انواعه

-جناح المنتجات النسيجية :تباع فيه البرانس والعباءات والحنابل ولأغطية

[1] **أغاديس**:هي مدينة من مدن السودان ،وهي مدينة كبيرة يحيط بها سور له سبع أبواب منازلها مغطاة بسقوف مسطحة ،تحتوي المدينة على خمسة أو ستة مساجد ،يرتدي سكانها نفس لباس التوارق، تعتبر من أكبر المراكز التجارية في بلاد السودان يقصدها التجار من مختلف الأماكن ،تحتوي أسواقها على الماعز والغنم والجمال ،والبقر والجلود المدبوغة ،وجثث النعام وجلود النمور والأسود والدواجن ،ومنتجات الحليب ،ينظر:أوجين دوماس:الصحراء الكبرى ،المصدر السابق،ص 98-99.

[2] **كانو**:تعتبر من المدن السودانية كانت مشهورة بصنع الأقمشة القطنية والأحذية والجبائر تبيعها للقرى المجاورة بالعبيد وبالمنتوجات المحلية ،وسكانها أغنياء وتجار، ينظر:العربي الزبيري،ص،162. حسن الوزان:المصدر السابق،ج2،ص173.

[3] ناصر الدين سعيدوني :ورقلة ومنطلقتها في العهد العثماني، مجلة الأصالة التاريخية الثقافية، ع41،،الجزائر ،1971-1981م ، ص ص 83-84.

-جناح الخضر والفواكه :تباع فيه بعض المنتجات الفلاحية التي تنتج محليا كالبصل والجزر واللفت والفلف والطماطم والرمان .

-جناح لبيع الماشية.[1]

2.سوق الوادي: يعتبر سوقها من أكبر الأسواق التي يؤمها التجار من من مختلف الواحات وتشتمل على أكثر من ثلاثمئة حانوت ، وتتمثل مواردها في التمور بكل أنواعها الجيدة والتبغ ، وبعض المصنوعات كالمضلات المصنوعة من سعف النخيل والأقمشة الصوفية العادية[2] ،تعتبر منطقة واد سوف مركزا للمبادلات التجارية خاصة مع غدامس والجنوب التونسي، وكانت القوافل التجارية المنطلقة من واد سوف تجوب عدة مناطق لمبادلة منتوجاتها ،كالتمر والدهان والصوف والتبغ والجلود وتجلب معها عند رجوعها بعض السلع كالقمح والشعير والسكر والشاي والقهوة.[3]وإلى الجنوب التونس كانوا يحملون التمور والتبغ ،الأقمشة الصوفية ،المظلات ،ويستوردون منها بعض المصنوعات المحلية و الأوروبية كالبزازة والمواد العطرية والأقمشة الحريرية ،والأسلحة والكبريت ، وإلى سوق غدامس كانوا يحملون العملة ومختلف أنواع المصنوعات والمنتوجات المحلية والأجنبية ويجلبون منها العبيد والتبر والعاج وريش النعام والبخور والنترون وغيرها من البضائع التي كانت تستوردها غدامس من بلاد السودان[4] .

[1] أحمد ذكار:المرجع السابق،ص ص84-85.

[2] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق، ص154.155.

[3]- خليفة بلقاسم: (واقع النشاط الإقتصادي لمجتمع واد سوف خلال القرن19م)، أعمال الملتقى الوطني حول الحياة الإجتماعية والإقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 18-19م من خلال المصادر المحلية،24-25جانفي 2014م، ص 246.

[4] العربي الزبيري:المرجع السابق ،ص 155.

3.سوق وادي ميزاب:

أصبحت منطقة ميزاب بداية من العصر الحديث إحدى أهم المراكز التجارية في الجزائر ،وقد ساهمت كل مدينة من مدن ميزاب في تجارة القوافل الصحراوية ،كما تعتبر التجارة إحدى أهم العوامل الأساسية التي ساهمت في تطور وإزدهار هذه المدن.[1]

ويؤكّد سيمون بفايفر على ممارسة المزابين للتجارة، حيث يقول "....ويشتغلون بالتجارة ،إلا أنهم يتاجرون في الغالب بالعبيد...."[2] تعتبر منطقة وادي ميزاب محطة تجارية للقوافل التجارية القادمة من شمال الجزائر او من بلاد السوان حيث يلتقي تجار الشمال بتجار الجنوب داخل أسواقها لمبادلة بضائعهم ،ويؤكد حسن الوزان على ذالك حيث يقول "...وهي أيضا رأس خط تجاري يلتقي فيه تجار الجزائر وبجاية بتجار أرض السودان...".[3]

ولم يقتصر دور منطقة واد ميزاب في التجارة في كونها محطة تجارية للقوافل الصحراوية المتجهة للشمال أو الجنوب فقط، فقد ساهمت بدورها في التجارة الصحراوية، حيث كانت هناك حركة تجارية بينها وبين مدينة الجزائر ،فكان المزابين يحملون إلى الجزائر بعض البضائع التي كانوا يجلبونها من بلاد السودان كالعبيد والتبر وريش النعام والجمال والتمر، ويستبدلونها هناك ببعض البضائع الأوروبية، وبهذا يعتبر المزابين الوكلاء المفضلين لتجارة مدينة الجزائر مع دواخل أفريقيا[4].كما كانت قوافلهم تتجه إلى حاضرة توات في موسم جني التمور لمبادلة سلعهم بالتمور التواتية[5]. وتعتبر أسواق وادي ميزاب أسواق أسبوعية ،وتختلف مدتها في أيام إنعقاد السوق، فسوق غرداية هو سوق يومي حيث كان يفتح كل يوم بعد العصر

---

[1] بالحاج بن باحمد ناصر: المرجع السابق ،ص ص 369-370.

[2] بفايفر سيمون : مذكرات أولمحة تاريخية عن الجزائر ،تق وتع: أبوالعيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1974،ص 130.

[3] حسن الوزان: المصدر السابق ،ج2،ص 135.

[4] وليام شالر :مذكرات وليام شالر،تع وتق:إسماعيل العربي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1982م،ص ص111-112.

[5] فرج محمود فرج :المرجع السابق،ص 71.

وكذالك سوق بني يزقن هو سوق يومي يعقد كل يوم ماعدا يوم الجمعة ،أما العطف وبنورة ومليكة فسوقهم نصف أسبوعي ،وكان السوق الأسبوعي يعقد في السوق الرئيسي للمدينة ويستقبل القوافل القادمة من الصحراء أو من الشمال ،أما في الأيام الأخرى من الأسبوع فإن السوق يفتح للدلالة وبيع السلع المحلية.[1]

4.سوق تقرت:

تعتبر تقرت محطة تجارية ومنطقة إلتقاء التجار من مختلف الوحات،و كان هؤلاء التجار يحملون إليها بضائعهم المختلفة ،حيث كان تجار منطقة الزاب يجلبون إليها القمح والشعير والأكياس الصوفية ،أما تجار بني ميزاب فكانوا يحملون إليها الملابس الصوفية ،ومن ورقلة كان يجلب إليها العبيد والتبر والشب والكبريت والملح وأسنان الفيل[2]. وكان للمنطقة علاقات تجارية مع غدامس حيث كانوا يحملون إليها المواد العطرية ،التمور، الحبوب،الزيوت، الأقمشة، ويستبدلونها هناك بالتبر ،العبيد ،ريش النعام ،البخور السوداني[3] .كما أن للمنطقة سوق كبير ويعتبر سوقها ثالث أسواق الواحات بعد سوق الوادي و بسكرة ، وقد كان تجارها يحملون إلى الجنوب التونسي بعض المنتوجات التي كانت تنتج في وادي ريغ كالتمور والأقمشة الصوفية ، ويجلبون في المقابل الأقمشة القطنية والعطريات المستوردة من أروبا [4]. وقد وصفه الرحالة الأغواطي حيث يقول" وهي تنتج التمر والتين والعنب والرمان والنعناع والإجاص وغيرها وسوقها كبير جدا."[5]

5.أسواق توات: تعتبر توات مركز للقوافل التجارية القادمة من مختلف الجهات ،حيث يرى كاريت أنها قاعدة كبيرة ومستودع للبضائع ومحطة للقوافل التجارية القادمة من غدامس وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب بإتجاه بلاد السودان[6].

---

[1] بالحاج بن باحمد ناصر :المرج السابق ،ص 334.

[2] Daumas:le sahra de algerai..op-cit ;p136.

[3] محمد العربي الزبيري :المرجع السابق ،ص 159.

[4] نفسه ، ص156.

[5] الأغواطي :المصدر السابق ،ص100.

[6] Cartte:commerce de lalgérie Aveg ;lafrique centrale et les Etat Barbareesqués, Répo nse, le commerce du soudan ;paris ,1844 , :35.

وقد لعبت الأسواق التجارية في حاضرة توات دورا بارزا في التجارة الصحراوية كسوق تيميمون وتمنطيط وزاوية كنتة ورقان وعين صالح[1]. وتعتبر هذه الأسواق من أهم الأسواق التي تتجه إليها القوافل التجارية في أعماق الصحراء [2]. وكانت تعرض داخل هذه الأسواق بعض المنتجات المحلية ،كالتمر والحناء والتبغ إضافة إلى بعض المصنوعات اليدوية[3]. ومن أهم الأسواق التواتية التي كان لها دور في تنشيط الحركة التجارية للمنطقة نجد سوق مدينة تيميمون،حيث كان لسوقها شهرة كبيرة ،وكانت تقصده القوافل القادمة من الشمال ،من لمنيعة وغرداية وغيرها من مدن الشمال، لمبادلة سلعهم المختلفة كالسكر والشاي والشمع والصابون بالسلع المعروضة داخل هذا السوق كالعبيد وريش النعام والعاج والتمر والحناء والتبغ.[4]

-كما ذكر **دوماس** تقسيم الأسواق في منطقة تيميمون على النحو التالي:

سوق السمن لبيع الزبدة

-سوق السراجين : حيث يتجمع فيه صناع الأحذية والسروج

-سوق الجلاب: يوجد فيه تجار الصوف والملابس

-سوق العطارين : وقد خصص لتجار الأقمشة القطنية والتوابل ،والعطوروالجواهر

-سوق الرحبة :لتجار الحبوب والتمور

-سوق الجمال والغنم

-سوق الخضرة:لتجار الخضرة والفواكه

-سوق الدخان :لتجارالتبغ

[1] صالح بوسليم: المرجع السابق ،ص 175.

[2] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر ...المرجع السابق،ص 139.

[3] صالح بوسليم :المرجع السابق ،ص 175

[4] فرج محمود فرج :المرجع السابق ص65.

-سوق الصياغة:لبيع المجوهرات

- سوق للعبيد.[1]

كما يوجد في منطقة تمنطيط عدد من الأسواق التي تعتبر من أنشط الأسواق في أقليم توات وهذا مايؤكّده ابن بابا حيدة في كتابه القول البسيط في أخبار تمنطيط، حيث يقول"...فأعلم أن تمنطيط إسم لمدينة إجتمع فيها العلم والإمارة والديانة والرياسة ،وإنتصب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع، وكاد أن لايستغني عنها غني و لازاهد لما فيها من الدين والبركات والمنافع والحاجات..."[2] وإبتداءا من القرن 18م أصبح سوق أدرار يزاحم سوق تمنطيط ،كما كان سوق رقان من أهم الأسواق الذي يؤمّه قبائل تاوديني والمبروك وأهميدان وأدرار أنفوغاس، كذالك سوق قصر العرب يعتبر من أكبر الأسواق في منطقة عين صالح ،حيث يعتبر محطة تجارية ونقطة إلتقاء القوافل التجارية القادمة من غدامس وطرابلس وتونس ،وكانت هذه القوافل تضع حمولتها بالسوق ، إما لبيعها أولحملها مرة ثانية نحو أسواق السودان،وقد إحتفظ سوق قصر العرب بأهميته إلى نهاية القرن19م[3].

ثالثا: أهم أسواق المدن والحواضر الصحراوية الليبية:

1.سوق غات:

تعتبر مدينة غات مركز تجاري هام للتجارة الصحراوية ،وكانت هناك حركة تجارية نشطة بينها وبين بلاد السودان وحاضرة توات بالجنوب الجزائري،حيث كانت تأتيها في كل سنة في شهر أكتوبر قوافل من بلاد السودان محملة بالسلع كالعبيد وريش النعام والجلد والزبد والبخور السوداني.[4] ويعتبر سوق غات من أهم الأسواق في أيالة طرابلس ويسمى بسوق التوارق ،ولاينعقد إلا مرة في

[1] Daumas :grand désert…op-cit,p :67

[2] ابن بابا حيدة : القول البسيط في أخبار تمنطيط ،تح:فرج محمودفرج،ص14.

[3] فرج محمود فرج : المرجع السابق،ص ص65-67.

[4] الحشائشي: المصدر السابق ،ص ص112-118.

السنة.[1]ومع موسم إنعقاده تصل قوافل السودان إلى غات محملة بالعبيد، ومع وصولها تدب الحياة في سوقها ،ويتحول إلى معرض تجاري شهير ،كما يستقطب التجار من كل أنحاء أفريقيا من مصر والمغرب وطرابلس وتونس والجزائر والسودان.[2]

2.سوق مرزق:

يعتبر سوق مرزق من الأسواق الموسمية ،حيث يعقد في موسم جني التمور ووصول القوافل التجارية إلى فزان ،فبداية من شهرأكتوبر إلى فيفري من كل سنة تصبح مرزق سوقا تجاريا كبيرا،حيث تتوافد عليه القوافل التجارية القادمة من مختلف الجهات من مصر وطرابلس و من مدن الشمال.[3]وكانت تمثل سوقا رائجة لمختلف البضائع وملتقى لتجار الواحات الداخلية كغدامس وغات وطرابلس، فقد كان تجار طرابلس يحملون إليها بعض البضائع والسلع كالملابس والأقمشة والعطور ويقمون بمقايضتها بالمنتجات المحلية كالتمر والحبال والقمح والشعير ،كذلك تجار غدامس وغات كانت تربطهم علاقة مستمرة بسوق مرزق حيث يقصدونه لمبادلة بضائعهم بالسلع المحلية لمدينة مرزق.[4] وظلت مرزق حتى القرن 18م المركز الرئيسي للقوافل التجارية القادمة من غدامس وطرابلس إلى بلاد السودان[5] أو العكس ،كما أنها تعتبر مستودع لتجارة الرقيق في الصحراء.[6]

[1] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق ،ص 179.

[2] مرشيه : (مذكرة عن سوق غات وعن المسلك الطبيعي إلى السودان من وجهة نظر التجارة الجزائرية 1861م) ،ضمن كتاب الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في أواسط القرن19م:المصدر السابق،ص 495.

[3] فاطمة علي أمحمد أحويلات: المرجع السابق ،ص99.

[4] رجب نصير الأبيض: طرابلس الغرب في كتابات الرحالة خلال القرن19م،ط1،مركز جهاد الليبين للدرسات التاريخية ،طرابلس،دت،29،ص208.

[5] المقصود ببلاد السودان أقطار مالي والنجير وشمال نيجيريا ،ينظر:العربي الزبيري :المرجع السابق، الهامش رقم1،ص161.

[6] الشيخ الأمين عوض الله :(تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر) ،ضمن كتاب كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن19م،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،معهد البحوث والدراسات العربية،بغداد،1404هـ/1984م ،ص 81.

3.سوق غدامس :

يعتبر سوق غدامس سوق أسبوعي ،حيث يقام كل يوم جمعة في حي العوينة، يشارك فيه التجار من مختلف لبلدان ،وكانت المعاملات التجارية داخل هذا السوق تتم عن طريق المزاد العلني،ويختلف حجم السوق حسب موسم وصلول القوافل أومغادرتها.[1] يعرض داخل هذا السوق بعض المنتوجات المحلية كالحبوب والخضر والفواكه ،وبعض البضائع السودانية كالعبيد والعاج،والأقمشة القطنية الزرقاء والزبد ،ويوجد داخل هذا السوق بعض الدكاكين الخاصة بالإنتاج الحرفي كالنجارة والحدادة وصناعة الجلود، ويوجد كذلك جناح لبيع الماشية كالماعز والجمال .[2]

[1]Henri Duveyrier :les touareg de nord ;paris ;1864,p :262.

[2] حسين جاجوا:المرجع السابق نص ص27-28.

المبحث الثاني: أساليب التعامل التجاري:

اولا:العملة والمقايضة:

1.المقايضة:

كانت المقايضة هي الطريقة الغالبة في عمليات التعامل التجاري في الأسواق الصحراوية وهذا نظرا لقلة العملة[1]، وتعتمد المقايضة على الإتفاق بين طرفين فيما يعرضونه من سلع [2]، وكانت المقايضة أكثر طريقة يتعامل بها تجار واد سوف في معاملاتهم التجارية، حيث كانوا يقومون بالمقايضة مع تجار غدامس وتجار الجنوب التونسي إلى غاية القرن19م[3]. فكانوا يحملون إلى الجنوب التونسي التمور والتبغ ويستبدلونها هناك بالشاي والتوابل والقهوة[4]. أما تجار ورقلة فقد كانوا يقصدون سوق غدامس ويحلمون معهم الأقمشة الحريرية والقطنية والتمور والحبوب ،والزيت والأسلحة ،ويستبدولونها هناك بالتبر والعبيد وجثث النعام والعاج [5] . وكان التبادل التجاري بين توات والوحات الصحراوية وأسواق الشمال الجزائري غالبا مايتم عن طريق المقايضة.[6]

كما تعتبر التمور التواتية مادة ثمينة وهي مصدر غنى لسكانها وأساس ثروتهم ،بإعتبارها المادة الوحيدة الأكثر إنتاجا في المنطقة وهي المادة الأساسية في عملية المقايضة ،حيث كانوا يستبدلونها بما يجلبونه من لحم وحبوب وزبدة وملابس.[7]

ويذكر الأستاذ حوتية في كتابه أن طريقة المقايضة هي الأكثر تداولا بين التجار في إقليم توات، وذالك حسب القاعدة التالية:

---

[1] محمد العربي الزبيري : المرج السابق ،ص158.

[2]المبروك الدالي : المرجع السابق،ص339.

[3]بالقاسم بن خليفة : المرجع السابق ،ص246.

[4] عثمان زقب: المرجع السابق ، ص110.

[5] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق،ص157.

[6] صالح بوسليم: المرجع السابق،ص191.

[7]Daumas :le grand désert ;op-cit,p :96.

- حمولة واحدة من القمح تعادل خمس حمولات من التمر الحمير
- حمولة واحدة من الشعير تعادل خمسة عشر حمولة من تمرالحشف وإثنتين من تمر الحميرة
- واحد كيلو غرام من القمح يعادل خمسة كيلوغرامات من الفلفل الحار
- حمولة واحدة من الفول تعادل خمس حمولات من تمر الحميرة أو ست حمولات من تمر تناصر
- حمولتان من اللحوم الجافة تعادل خمس حمولات من حميرة أو ست من تمر تناصر
- رأس واحد من الغنم يساوي حمولة واحدة من تمر الحميرة
- عشر جزات من الصوف تعادل حمولة من تمر تناصر.[1]

ونظرا لقلة العملة في سوق غدامس فقدكان تجار هذه الأخير يقومون بعملية المقايضة في الأسواق السودانية ،حيث كانوا يستبدلون سلعهم بالسلع السودانية ، فكانوا يقايضون العبد الأسود بالبرنوس والذهب بالفضة[2]. ونفس الحال بالنسبة مدينة لغات فقدكانت النقود بها قليلة إضافة إلا أن تجارها كانوا يرفضون التعامل بالنقود الذهبية ،وبهذا فإن أغلب تجارتهم كانت تتم عن طريق المقايضة .[3]

2.العملة[4]:

إلى جانب المقايضة، هناك العديد من العملات التي كانت سائدة في الحواضر الصحراوية والتي كان يتم التعامل بها في المعاملات التجارية، وسنتطرق إلى بعض من هذه العملات في بعض الحواضر :

[1] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق،ج1،ص ص 170-171.
[2] جاجوا حسين: المرجع السابق ،ص40.
[3] نجمي رجب ضياف: المرجع السابق،ص202.
[4] **انظر الملحق رقم(9)، ص103**.

يـذكر هنـيري دوفيريـه أن العملـة المتداولـة في واد سـوف خـلال القـرن 19م هـي الريـال الصـحيح الـذي يسـاوي ريـالين تونسـين[1].أمـا عـن العمـلات الـتي كـان يعتمـد عليهـا في منطقـة وادي ميزاب خلال القرنين 18-19م فهي الريال بوجة والريال الكورنتيي ،المحبوب ،الريال التونسي[2]. وفي منطقـة الأغـواط يـذكر إبـن هطـال التلمسـاني أن العملـة المتداولـة فيهـا هـي الريـال بوجـة[3]. ويـذكر الأغواطي أن أهم عملة متداولة في الأغواط هي عملة الجزائر وعملة فاس[4]. كما إستعمل تجار ورقلة في معاملتهم التجارية العملة المعدنية وخاصة الدينار الذي ظل التعامل به قائما إلى غاية القرن 19م ،حيث نافسه الفرنك الفرنسي.[5]

أما في إقليم توات، فقد ورد في كتب النوازل العديد من القطع النقدية التي كان التعامل بها في مجـال التبـادل التجـاري خـلال القـرنين 18-19م، والـتي منها:المثقـال والـدراهم الفضـي والفلـس والموزونة[6]. إضـافة إلى التبر والـدراهم الإسماعلية ،وقد ورد ذكرها في نوازل الغنية بإسـم دراهـم مولاي إسماعيل حيث تنتسب هذه العملة إلى السلطان العلوي مولاي إسماعيل ، إضافة إلى الريال والودع[7]. وكان الودع يستعمل في المبيعات الصغيرة[8]. وعن العملة التي كانت متداولة في تقرت، فيذكر العياشي العياشـي الـذي مـر بالمنطقـة القـرن 17م أثنـاء رحلتـه للحـج "..وأمـا دراهمهـم فقـراريط صـغيرة إثنـان

[1] هنيري دوفيرييه: (مذكرة حول تجارة سوف بالصحراء الجزائرية)، ضمن كتاب الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في أواسط القرن 19م، المصدر السابق ..،ص،489.

[2] ناصر بالحاج: (جوانب من المعاملات المالية بوادي ميزاب في القرن18-19م من خلال دفبر بعض التجار) ، أعمال الملتقى الوطني حول الحياة الإجتماعية والإقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 18-19م من خلال المصادر المحلية 24-25جانفي2012م، ص253-254.

[3] نفسه،ص253.

[4] خيرة سياب : (رحلة الصحراء لإبن الدين الأغواطي المعروفة بالرحلة الأغواطية)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران1، العدد13، جوان 2015م، ص 173.

[5] أحمد ذكار: المرجع السابق،ص109.

[6] صالح بوسليم:المرجع السابق،ص202.

[7] هرباش زاجية :الوضع في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 18-19م،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشرف :نعيمة عبد المجيد ،جامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الأثار،2011-2012م،ص ص295-319.

[8] المبروك الدالي:المرجع السابق ،ص340.

وثلاثون منها في ربع ريالة" [1]. أما أهم العملات التي كانت تستعمل في المعاملات التجارية في غات ومرزق فهي:

الليرة الذهبية ،والفضة المجيدية والتي تساوي قمتها 4،30 فرنكات، والريال الغاتي [2]. وعملة "ليرة ماريا تريزيا "المصكوكة في عام1780م. وقد عرفت بريال أبوطيرة ويساوي صرفها في غات 24قرشا[3].أما في غدامس فقد كان المثقال الذهبي أهم عملة مسيطرة على المعاملات التجارية ،وتتراوح قيمته من 14إلى19فرنك ، إضافة إلى الدورو الفرنسي، والدورو السينكو الذي يساوي خمس فرنكات[4].

ثانيا :المكاييل والمقاييس والموازيين:

عرفت المدن والحواضر الصحراوية عدّة أنواع من المكاييل والمقاييس والموازيين ،حيث تشابهت في بعض المناطق وإختلفت في بعضها :

1. المكاييل:

–المد:وهو مقدار ملء اليدين.

–الصاع:يقدر بأربعة أضعاف المد أي مايعادل ثلاث لترات تقريبا

–القنطار:يقدر بمئة رطل.[5]

[1] العياشي :ماء الموائد....،المرجع السابق،ج1،ص122.

[2] رجب نصير الأبيض :مدينة مرزق وتجارة القوافل خلال القرن التاسع عشر ،دراسة في التاريخ السياسي والإقتصادي،ط1،مركز جهاد لليبين للدراسات التاريخية ،طرابلس،1998م،ص193. /نجمي رجب ضياف :المرجع السابق،202-203.

[3] جميلة أمحمد التكتيك: (العملات والسلع المتداولة في تجارة القوافل بين طرابلس الغرب وبلاد السودان الغربي في العهد العثماني الثاني)، مجلة كلية الأدب ،جامعة طرابلس ،كلية الأدب،ع13، 2010م ،ص260.

[4] جاجوا حسين: المرجع السابق،ص117.

[5] الأمين عوض الله:المرجع السابق ،ص93.

المزود:وهو كيس مصنوع من الجلد يزن مابين 5إلى80كيلوغرام[1]

–أزقن: وكان يستعمل في أقليم توات وهو عبارة عن إناء خشبي صغير مجوف،يستعمل لوزن الحبوب

–القصعة: وحدة للقياس ،وهي عبارة عن إناء خشبي يقدر ب12أزقن أي مايعادل 2،5كيلوغرام

–**القروي**: يستعمل لكيل التمر ويقدر بخمسمئة أقصع

–الحمل: يساوي 150كيلوغرام تقريبا

–القبلة: تعادل خمسة أقصع.[2]

–الحثية: وهي مقدار إثنتا عشر مدا

النقاصة: وهي إناء من الفخار يستعمل لكيل السوائل كالزيت والسمن.[3]

–القفير: يستخدم لقياس التمر ويساوي 24كيلوغرام

الويبة: تساوي أربع كيلات[4] .

2.المقاييس:

– الذراع :وهو الإمتداد بين عقدة المرفق ونهاية الوسطى،ويساوي 50سم تقريبا ،وعادة ماتقاس به الأقمشة

[1] نفيسة بلخضر :المرجع السابق،ص99.
[2] صالح بوسليم :المرجع السابق،ص199-200.
[3] بالحاج بن باحمد ناصر:المرجع السابق،ص343.
[4] رجب نصير الأبيض، المرجع السابق، ص 201.

–الشبر:ويساوي الإمتداد بين الخنصر والإبهام حين تكون الكف مفتوحة ،ويقدر ب21سم تقريبا

البريد:ويساوي مسافة سير ساعة بالحصان المسرع[1]

الميل :لقياس المسافات

الفرسخ:ويستعمل لقياس المسافات الطويلة ويساوي ثلاثة أميال

الخطوة:وهي وحدة لقياس الطول.[2]

القالة:ويستعمل لقياس الطول ويقدر ب0،07متر،وتناسب طوا زراع الإنسان المتوسط

–القامة:وحدة لقياس الطول ويتراوح طولها من1،90مترإلى2متر

–البيصة:تساوي لفة قماش وتقدر بأربعين ذرعا.[3]

الحبل :يستعمل لقياس مساحات الأرض

القدم: لقياس الأرض[4]

وكانت مقاييس الأقمشة تتم حسب نوعيتها ،حيث كان الحرير الطبيعي يباع بالذراع، أما الأقمشة الحريرية الأقل جودة كالستان والكتان كانت تقاس بالمتر.[5]

3.الموازين :

[1] الشيخ الأمين عوض الله: المرجع السابق، ص92.
[2] المبروك الدالي: المرجع السابق، ص338.
[3] صالح بوسليم: المرجع السابق، ص195.
[4] نفيسة بالخضر:المرجع السابق ،ص98.
[5] نجمي رجب ضياف: المرجع السابق ،ص207.

-الدينار: قطعة من الذهب تقدر بالمثقال

-**الأوقية:** تستعمل كوحدة للوزن وتساوي 40درهما.[1]

-المثقال : وحدة للوزن المعادن الثمينة ويساوي وزنه 72حبة من حبات القمح ،ووزنه 4،25 غ من الذهب الخالص

-الرطل: وحدة وزن تساوي 500غرام

-**الدرهم** : وحدة للوزن تساوي سبعة أعشار المثقال.[2]

وأهم الموازين المستخدمة في مرزق في بيع الذهب وشرائه هي القيراط[3]،ويزن33،5مثقالا إضافة إلى الأوقية التي تزن 6،2مثقالا[4]

المبحث الثالث:السلع المتبادلة بين المدن و الحواضر الصحراوية المغاربية:

كانت السلع المتبادلة بين المدن و الحواضر الصحراوية المغاربية على نوعين ،الأول هو ما تنتجه هذه الحواضر محليا، والثاني ماكانت تستورده من الخارج ، فماهي أهم السلع المتبادلة بين هذه المدن والحواضر؟.

أولا:السلع المتبادلة بين المدن و الحواضر الصحراوية الجزائرية والمغربية:

[1] علي جمعة محمد: المكاييل والموازين الشرعية،ط2،القدس للإعلان والنشر والتسويق ،القاهرة،2001م،ص 20-21.

[2] أحمد ذكار : المرجع السابق،ص 108.

[3] القيراط: جزء من أجزاء الدينار،ينظر علي جمعة محمد،المرجع السابق،ص23.

[4] رجب نصير الأبيض : المرجع السابق،ص201.

1.الصادرات:

المنطقة	الإتجاه	المواد المصدرة	مصدر أو مرجع المعلومة:
بسكرة	**فقيق**	-الحرير المنسوج المستوردمن تونس -الأقمشة الصوفية المحلية.	محمد العربي الزبيري:المرجع السابق،ص176.
ورقلة	**تافيلالت**	-ريش النعام -الخردوات المستوردة -المنسوجات التونسية.	محمد العربي الزبيري:نفسه:ص176.
وادي ميزاب	**تافيلالت**	-الأقمشة الحريرية المستوردة من تونس -المصنوعات المحلية.	Carette ;de commerce ;op-.cit ;p :23.
توات	**تافيلالت** **مراكش**	العبيد،الذهب،ريش النعام،العاج.	فرج محمودفرج:المرجع السابق،ص70.

2. الواردات:

المنطقة	الإتجاه	المواد المستوردة	مصدر أو مرجع المعلومة:
بسكرة	**فقيق**	-المشاط،الأقمشة القطنية المستوردة من أروبا،الطفل، الخيل،مواد البزازة،الأسلحة.	-عمار بن خروف:المرجع السابق ،ص87. -العربي الزبيري:المرجع السابق،ص176.
ورقلة	**تافيلالت**	-الجلود الفيلالية،الخيل	نفسه:ص176.

		الأسلحة.	
وادي ميزاب	**تافيلالت**	-الجلـــود الفيلاليـــة،النعال الجلدية،الأسلحة،الحديد، الأقمشـــــــــــــــة القطنية،الخردوات،الطفل، أمشاط النساء،الأغطية الحريرية الحمراء.	-Carett :op-cit,p :23.
توات	**فقيق**	الأسلحة،البنادق، المسدسات،السيوف.	Daumas :le - grand désert…op-cit ;p :68
توات	**تافيلالت مراكش**	الخيول،الأسلحة النارية،الفواكه المجففة كالتين،الملابس الحريرية المطرزة	صالح بوسليم:المرجع السابق،ص192.

ثانيا:السلع المتبادلة بين المدن و الحواضر الصحروية الجزائرية و الليبية:

1.**لصادرات:**

المنطقة	الإتجاه	المواد المصدرة	مصدر أو مرجع المعلومة:
توقرت	**غدامس**	الموادالعطرية،التمور،الحبوب،الزيوت الأقمشة.	-العربي الزبيري:المرجع السابق،ص159.
ورقلة	**غدامس**	الأقمشة الحريريةوالقطنية،التمور الحبوب،الزيوت،الأسلحة،العملة.	-نفسه:ص159.
الوادي	**غات**	بعض المنتوجات المحلية،التوابل المـــــــــــــــــواد العطرية،الجواهر،الحرائر،الكاغط، بعـــض المصـــنوعات الأوروبيـــة المستوردة.	-نفسه،ص180.

وادي سوف	**غدامس**	العملة،بعض المصنوعات المحلية والأروبية. التبغ،القمح،الشعير،الزيت،السمن ،الغرس،التمر،لحم الغزال،لحم البقر.	-نفسه ،ص155. -دوبونمان:رحلة إلى غدامس1856-1857م،ضمن كتاب الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية..،المرجع السابق:ص141.

2.الوردات:

المنطقة	الإتجاه	المواد المستوردة	مصدر أو مرجع المعلومة:
الوادي-تقرت	**غات**	العبيد	العربي الزبيري:المرجع السابق ،ص180.
تقرت	**غدامس**	الأقمشة القطنية،العطور،المصنوعات الأروبية،التبر،العبيد،جثث النعام،البخور السوداني.	-نفسه،ص159.
ورقلة	**غدامس**	- التبر،العبيد،العاج،البخور السوداني.	-نفسه،159. -نفسه ،ص155.
-الوادي	**غدامس**	- العبيد،التبر،العاج،ريش النعام،البخور السوداني	-رحلة الاغواطي،ص96.

كما كانت غدامس وغات تصدران لتوات القهوة والسكر والفلفل الأحمر والصمغ العربي[1].

-ومن خلال الجداول نلاحظ بأن أهم السلع المتبادلة بين هذه الحواضر بعضها مستورد سواء من بلاد السودان او من أوروبا ،أو من تونس. وبعضها من الإنتاج المحلي.

-كما أن أهم السلع التي كانت تستوردها الحواضر الجزائرية من الحواضر المغربية تتمثل في سلع محلية ،حيث تنتج داخل المغرب كالجلود الفيلالية ،والطفل والمشاط .

-أن أهم السلع التي كانت تصدرها الحواضر الليبية للحواضر الجزائرية هي السلع المستوردة من بلاد السودان،كالذهب والعبيد ،والبخور السوداني....

[1] فرج محمود فرج :المرجع السابق،ص 70.

..خلاصة الفصل نستنتج مايلي:

– تعتبر الأسواق التجارية مجالا فسيحا للتبادل التجاري ،يتيح للتجار عمليات البيع والشراء. كما لعبت الأسواق دورا بارزا في المبادلات التجارية بين الحواضر الصحراوية المغاربية،بإعتبارها مراكز تجارية للقوافل الصحراوية .

– تنوعت الأسواق التجارية في هذه الحواضر ،إلى أسواق موسمية كسوق مرزق وسوق غات الذي ينعقد مرة في العام وأسبوعية ؛كسوق غدامس ووادي ميزاب ،وأخرى أسواق دائمة.

– تنوعت السلع والبضائع التي كانت تعرض داخل هذه الأسواق، فمنها المحلية وأخرى مستوردة.

– تنوعت أساليب التعامل التجاري داخل هذه الأسواق كالتعامل بالعملة والمقايضة ،إضافة إلى إستعمال المكاييل والمقاييس والموازيين.

– كانت المقايضة أهم طريقة يتم التعامل بها داخل هذه الأسواق في المعاملات التجارية، وذلك لقلّة العملة.

– هناك عدّة عملات قد شاع استخدامها في المدن والحواضر الصحراوية المغاربية، فبعضها محلية ،والبعض الأخر مستورد من الخارج. إلى جانب ذلك هناك عدة سلع كانت رائجة في المبادلات التجارية بين المدن و الحواضر الصحراوية ،وقد تنوعت هذه السلع فهناك سلع مستوردة من الخارج وأخرى محلية، وأكثرها كان مستورد. وكان الذهب والعبيد والتمر من أهم السلع الرائجة في المبادلات التجارية.

الفصل الثالث: اثار حركة القوافل التجارية على المدن والحواضر الصحراوية المغاربية

المبحث الأول: الآثار الاقتصادية

المبحث الثاني: الآثار الثقافية

المبحث الثالث: الآثار العمرانية

أدّت القوافل التجارية التي كانت تجوب الحواضر و المدن الصحراوية المغاربية دورا حضاريا هاما سواء داخل هذه المدن أو خارجها ونقصد بالخارج هنا المناطق الشمالية ،أو دول المشرق و بلاد السودان ، وقد أدى التبادل التجاري بين هذه الحواضر وهذه الدول إلى انتقال العديد من المؤثرات منها: الاقتصادية والثقافية والعمرانية ،وهنا نتساءل :ما هو أثر القوافل التجارية على الحواضر والمدن الصحراوية المغاربية ؟

المبحث الأول: الأثار الاقتصادية :

أولا: الشغل:

وفرت القوافل التجارية التي كانت تمر على الحواضر الصحراوية والمدن المغاربية للعدد من سكانها عملا لهم، وذلك بتوظيفهم كمرشدين أو أدلاء أو قياد لتوجيه القوافل في مجاهل الصحراء الواسعة لمعرفتهم بمسالك الطريق ،وأماكن تواجد المياه[1]، كما كانت تجارة العبور من أهم مصادر الدخل للعديد من القبائل الواقعة على نقاط عبور القوافل،حيث كانت هناك" قبائل بأكملها تعيش بما تدره عليها القوافل التجارية التي يقودونها ويحمونها من الضياع أو من قطاع الطرق"[2] ، بالإضافة إلى ما كانت تجنيه تلك القبائل من كسب مادي جراء توفيرها لوسائل النقل ونقلها للبضائع إلى أعماق الصحراء [3]،زيادة على ذلك الضرائب التي كانت تفرضها بعض القبائل على القوافل التجارية التي كانت تمر في مجال نفوذهم [4].

ثانيا: المبادلات التجارية: لعبت القوافل التجارية والحجية دورا بارزا في انتعاش التبادل الاقتصادي بين مختلف الحواضر، كما ساهم هذا التبادل في نمو هذه الأخيرة وازدهارها إذ كان موسم الحج يمثل

[1] محمد الكبير فقيقي: المرجع السابق ،ص 193.
[2] العربي الزبيري: المرجع السابق ، ص113.
[3] رشيد حفيان :المرجع السابق ،ص96.
[4] الحسين عماري: المرجع السابق ،ص 203.

فرصة للتبادل التجاري خاصة بالنسبة للمناطق الواقعة على طريق الحج[1] . ومثال على ذلك منطقة توات بالجنوب الجزائري التي كانت تعتبر منطقة عبور ومحطة استراحة لقوافل الحج التي كانت تنطلق من جنوب المغرب الأقصى بتجاه المشرق ،فقد كانت هذه القوافل تتوقف في منطقة توات للتزود بالمؤنة ومبادلة سلعهم بالسلع التواتية[2] .إضافة إلى مدينة مرزق في جنوب طرابلس الغرب التي كان لموقعها هي كذلك دورا بارزا في عملية التبادل التجاري ،إذ تعتبر من أهم المحطات الصحراوية وملتقى لقوافل الحج القادمة من المشرق ومن المغرب ومن بلد السودان ،حيث يلتقى الحجاج المغاربة بحجاج الأفارقة داخل هذه المدينة للاستراحة أو للتبادل التجاري[3]. وكان الحجاج يمرون في طريقهم على العديد من الأسواق وينزلون فيها للمتاجرة ،حيث يتم التبادل التجاري بين الحجاج والأهالي وكان الأهالي يجلبون معهم بعض السلع المحلية كالزرع والسمن والعسل واللحم والإبل لمبادلتها بالسلع التي أحضرها الحجاج معهم ،وكانت بعض الأسواق تنشط وتزدهر أكثر بمناسبة موسم الحج ومرور الركبان المتتالية بها كسوق بسكرة بالجنوب الجزائري[4]. كما كان لمناطق الجنوب الشرقي الجزائري كمنطقة الزاب و وادي سوف و وادي ميزاب، وتقرت و ورقلة دورا بارزا في المبادلات التجارية منذ القدم ، باعتبارها مراكز رئيسية لتجارة بلاد السودان، ومحطة لقوافل الحج القادمة من جنوب المغرب الاقصى نحو الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج ،ونقطة انطلاق للقوافل المتجهة نحو الجنوب التونسي وغدامس أو نحو المناطق التلية بالشمال، حيث كان تجار هذه المناطق يترددون على أسواق تونس وغدامس وغيرها من المناطق لبيع منتوجاتهم أو مبادلتها بالسلع الموجودة في تلك الأسواق، ومن أهم السلع التي كان يتم تسويقها بمنطقة الجنوب الشرقي، التمور بمختلف أنواعها والأقمشة الصوفية والمضلات السعفية ،وكانت تستود من التل الحبوب والزيتون والمواد العطرية،

[1] رشيد حفيان : المرجع السابق ،ص96.

[2] فرج محمود فرج: المرجع السابق ،ص 69.

[3] فاطمة علي إمحمد أحويلات: المرجع السابق،ص159.

[4] أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني 1518-1830م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف: محمد حوتية ، جامعة محمد دراية ، أدرار ،2017 -2018م،ص ص184-185.

أما من تونس فكانوا يستوردون منها الأقمشة الحريرية ومواد الزينة والمناديل ...وغيرها [1].ومن غدامس كانوا يجلبون العبيد والتبر والعاج وريش النعام والبخور والنترون وهي كلها بضائع مستوردة من بلاد السودان[2] .

ثالثا: توفير رؤوس الأموال وتحقيق الأمن الغذائي.

وفرت القوافل الصحراوية لدول المغرب العربي ومدنه كل أسباب النمو والتطور الاقتصادي و الاجتماعي ،فقد اهتم المغاربة بتجارة العبور نظرا لما تدره عليهم من فوائد كتحسين المستوى المعيشي للأفراد وتحقيق الأمن الغذائي ،حيث ساهمت تجارة القوافل في تطوير الاقتصاد المغاربي بتوفير رؤوس الأموال المتمثلة في قناطر من الذهب الخالص والتبر، والرقيق الذين كانوا يستخدمون في الخدمات والأعمال الكبرى ،حيث ساهموا في نمو وتطور بعض الصناعات المختلفة ووفرة الإنتاج الزراعي[3]، وقد اشتهرت عدة طرق للقوافل الصحراوية التي كانت تنطلق من المدن المغاربية ،متجهة إلى الجنوب قاطعة الصحراء لتصل إلى المراكز التجارية الكبرى في غرب أفريقيا كغانا[4] وتمبكتو و ولايات الهوسا ،وكانم وبرنو[5] وغيرها من المراكز ، وكان التجار المغاربة يحملون معهم إلى هذه المراكز بعض البضائع كالحرير والسروج والنحاس والملح وبعض المنسوجات، فيبيعونها هناك ويشترون الذهب والجلود والعاج والعبيد[6] والعبيد[6] .وتكمن أهمية هذه البضائع التي يجلبونها من بلاد السودان فيما كانت تحققه من أرباح ،حيث كانت تقرت تستورد سنويا حوالي 500عبد وكان سعر العبد الواحد في الأسواق الأفريقية

[1] يمينة بن أصغير حاضري: المرجع السابق ،ص226-227.

[2] العربي الزبيري :المرجع السابق ،ص155.

[3] بشار قويدر: (القوافل التجارية المغاربية –طبيعة التجارة وأثارها–)،ضمن كتاب طريق القوافل ،المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الأنسان والتاريخ ،الجزائر ،2001م،ص17.

[4] **غانا:** هي أقدم الإمبراطوريات الأفريقية التي قامت بالسودان الغربي ،للمزيد ينظر : محمد فاضل علي باري و سعيد إبراهيم كريدية :المسلمون في غرب أفريقيا –تاريخ وحضارة– ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،2007م،ص 57 وما بعدها.

[5] **برنوا:** تقع إلى الشرق من بلاد الهوسة شرق نيجيريا ،وهي إحدى مقطعات إمبراطورية كانم ظهرت في القرن 15م،ينظر:يحي بوعزيز : تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية ...،المرجع السابق ،ص145.

[6] السر سيد أحمد العراقي :(تجارة القوافل بين الشمال وغرب أفريقيا وأثارها الحضاري)،ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى القرن 19م،المرجع السابق ،ص150-151.

يتراوح ما بين 150و200فرنك ،وبمجرد ما يصل إلى الواحات الجزائرية يقفز هذا المبلغ إلى ما بين 400إلى 500 فرنك [1]، وكان التبادل التجاري مع بلاد السودان يدر على القائمين عليه أرباحا طائلة تبلغ في بعض الأحيان خمسة أضعاف ثمن الشراء أو تزيد[2].

المبحث الثاني: الأثار الثقافية :

لم يقتصر دور القوافل على توفير الثروات المادية بقدر ما كان يشمل نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم الدين الإسلامي [3]، حيث ساهمت القوافل في ربط الصلات بين الشعوب الإسلامية ومبادلة الإجازات بين العلماء ، فقد كانت المحطات التي تمر بها هذه القوافل محطات للزهد والعبادة والخلوة ومناطق للتزود بالبضائع أو للاستراحة ،كما أنها تعتبر مراكز للعلم و المعرفة[4].

وهنا نتساءل: ماهي أهم الأثار الثقافية التي صاحبت حركة القوافل؟

أولا: نشر الإسلام :

يعود انتشار الإسلام في شمال أفريقيا إلى القرن 1هـ/7م إلا أنه يتوغل في أواسط أفريقيا إلى غاية اليوم ، وقد كان سبب هذا الإنتشار الحركة التجارية التي رافقتها حركة علمية نشطة ،إذ ساهم التجار بجانب نقلهم للبضائع والسلع إلى نقل المعارف ونشر الإسلام[5]. وقد كان السودان الغربي الوجهة المفضلة لعلماء الشمال الإفريقي وخاصة علماء توات، فقد نقل التواتيين إلى السودان الغربي "سلعهم ومعارفهم ومخطوطاتهم وثقافتهم ،وتمكنوا من إرساء حركة ثقافية وعلمية جمعت بين علوم المشرق والمغرب ،واختلطت بالثقافات والأعراف الإفريقية"، حيث ساهم التواتيين بواسطة رحلاتهم

[1] العربي الزبيري: المرجع السابق ،ص168.
[2] نفسه، ص170.
[3] علي كرزيكة: (أثر القوافل التجارية على صناعة الكتاب المخطوط بأقليم توات) ،مجلة أفاق علمية، المركز الجامعي تمنغست، ع2،الجزائر،2017م، ص 155.
[4] رشيد حفيان : المرجع السابق ،ص 99.
[5] نفسه ،ص 99.

العلمية إلى بلاد السودان من نشر الإسلام وثقافته[1] .وقد كان التجار المغاربة يترددون على المراكز التجارية في السودان الغربي ،وأثناء إقامتهم هناك ومزاولتهم للتجارة كانوا يحتكون بالسودانيين الذين تأثروا بالثقافة الإسلامية لهؤلاء التجار، وقام التجار بتعميق العلاقات الثقافية وأنشأوا المدارس لتعليم القرآن وأقاموا المساجد ،وإلى جانب نشرهم للإسلام، قام التجار بنشر اللغة العربية التي هي لغة القرآن ، وباعتبارها اللغة المستعملة في المعاملات التجارية بين المغاربة والأفارقة ونتيجة لذلك انتقلت أسماء الأوزان والمقاييس والمكاييل إلى اللغات المحلية [2].إضافة إلى حاجة أهالي السودان لمعرفة هذه اللغة لأداء الشعائر الإسلامية فالدخول للإسلام يتطلب ضرورة معرفة لغة القرآن وتعاليمه والسنة النبوية ،كما أدى انتشار اللغة العربية في بلاد السودان إلى ازدهار الممالك الإسلامية والتي غلبت عليها مظاهر الحضارة الإسلامية الأفريقية [3]. ساهمت المدن الصحراوية الليبية هي كذلك في نقل الثقافية العربية الإسلامية إلى مناطق أفريقيا جنوب الصحراء ،كما أن هذه المدن تأثرت هي الأخرى من الناحية اللغوية بالمجتمعات الهاوسية و البرنوية ،حيث هناك نسبة كبيرة من المجتمع الغدامسي والغاتي يجيدون اليوم اللغة الهوسية ويتحدثون بها [4].

ومن أهم الطرق التي انتشرت بها الثقافة الإسلامية هي:

1.هجرة العلماء إلى بعض المناطق والاستقرار بها: وعلى سبيل المثال أشتهر علماء توات وبلاد الساحل الأفريقي برحلاتهم العلمية إلى العديد من الحواضر والمراكز العلمية الكبرى في العالم الإسلامي ،وذاع صيت الكثير منهم في هذه المراكز الثقافية خاصة في بلاد الساحل الأفريقي حيث كان لهم حضور قوي في مدينة تمبكتوا ،التي كانت تستقطب رجال العلم والدعاة والتجارة منذ

[1] عبد الله مقلاتي و رموم محفوظ :دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلامية والثقافة العربية بأفريقيا الغربية، ط1، الشروق، 2009م، ص ص، 58 -59.

[2] الأمين عوض الله: المرجع السابق ، ص 95.

[3] فاطمة علي إمحمد أحويلات: المرجع السابق 275.

[4] نفسه ،ص277.

القرن8هـ/14م إلى غاية اليوم، وكان لعلماء توات وتجارها دور مهم في نقل الثقافة الإسلامية إلى الشعوب الأفريقية[1]

2.طريق قوافل الحج: لقد كان لرحلات الحج دورا هاما في نقل العديد من المؤثرات الثقافية

العربية، حيث كان الحجاج أثناء رحلتهم يقيمون في طريقهم في العديد من المناطق والمراكز، مما ساهم في التبادل ونقل الكثير من الثقافات والتعايش مع أهالي هذه المناطق التي يمرون بها[2] .وقد ساعد هذا الاحتكاك بفضل حركة القوافل بتغذية الجو التعليمي في هذه المناطق بما يجلبه الحجاج من أفكار ومعارف والكتب و التآليف وما يقيمون به من حلقات التدريس ومناظرات[3] .

3.تأثير التجار المسلمين في سكان المناطق التي يقصدونها : حيث كان لبعض التجار العرب عامة والتجار التواتيون خاصة دراية بالفقه ومعرفة بالعلوم ،فقد كانوا يقصدون بتجارتهم بلاد الساحل طلبا للرزق ونشر العلم، وكان تأثيرهم كبيرا في كل المناطق التي يقصدونها بفضل معاملاتهم المستمدة من الدين الحنيف ،حيث حازوا إعجاب وثقة سكان تلك البلاد فراح هؤلاء يقلدونهم في سلوكياتهم ومعاملاتهم[4] مما أدى إلى انتشار الإسلام في تلك المناطق ،فكان التاجر يجمع بين مزاولة التجارة والدعوة إلى الإسلام ،حيث كان إلى جانب عمله يتفرغ في بعض الأوقات لإقامة حلقات الدورس[5].

[1] أمحمد مولاي :(التجارة والرحلة ودورهما في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الأفريقي ما بين القرنين 11-12هـ/18/17م)، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية ،كلية الأدب والعلوم الإنسانية ،جامعة نواكشط، ع5، موريتانيا ،2015م،ص،49.

[2] فاطمة علي إمحمد أحويلات: المرجع السابق ،ص273.

[3] زكية بالناصر القعود : (دور القوافل التجارية في التفاعل الثقافي بين ليبيا والمغرب العربي وما وراء الصحراء والسودان في العصر الوسيط)، مجلة أفاق الثقافة والتراث ،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ،ا لسنة 22،ع86، 1435هـ/2014م ، ص 138.

[4] أمحمد مولاي: المرجع السابق، ص 46.

[5] فاطمة علي إمحمد أحويلات: المرجع السابق ،ص 265.

فما أن يدخل هذا التجار قرية وثنية سرعان ما يلفت الأنظار ويبهر نفوس الأفارقة بتصرفاته ككثرة وضوئه وانتظام صلاته وكثرت عبادته ،مما أثر فيهم فقلدوه واقتدوا به ،كما زادت الرغبة لدى هؤلاء الأفارقة في معرفة دين هؤلاء التجار والتعمق في أصوله ،وهذا ما دفعهم في مرافقة القوافل التجارية نحو شمال أفريقيا للدراسة و التفقه في الدين الإسلامي في المراكز الحضارية والثقافية هناك [1].

4.الطرق الصوفية: لقد كان للطرق الصوفية دورا بارزا في انتشار الإسلام بغرب أفريقيا ،خاصة بعدما ظهرت الأطماع الأوروبية في القارة ومن بين هذه الطرق نذكر :

– الطريقة القادرية و الطريقة التيجانية ، فقد انتشرت الطريقة القادرية في غرب أفريقيا في القرن 15م ونشطت أكثر في القرن 19م،حيث انتشر أتباعها في أرجاء السودان الغربي وأقاموا عدة مراكز للدعوة ،كما بنوا المساجد والمدارس للتعليم وتحفيظ القرآن الكريم .

أما الطريقة التيجانية، والتي تأسست في الجنوب الجزائري على يد الشيخ أحمد بن علي اليتجاني[2] ، فقد انتشرت هي الأخرى في ربوع السودان الغربي [3]، وانتشر أتباعها في حوض السنغال و تمبكتو وفي العديد من المناطق وأسسوا عدة زوايا وقد ذاع صيتها مما أدى إلى زيادة في أتباعها حتى أصبحت هي الطريقة السائدة في غرب أفريقيا هذا وقد استطاعت هذه الطرق أن تلعب دورا بارزا في نشر الإسلام وترسيخ مبادئه في القارة [4]. وبالإضافة إلى الطريقتين السابقتين

---

[1] أوزايد بلحاج : المرجع السابق ،ص ص 115،116.

[2] **أحمد التيجاني:1150–1230هـ/1737–1815م**:هو أحمد بن محمد بن المختار بن سليم التجاني أبو العباس ،ولد في قرية عين ماضي قرب مدينة الأغواط بالجنوب الجزائري ،نشأ بمسقط رأسه وتعلم هناك مبادئ العلوم اللغوية والفقهية وحفظ القران الكريم ،وقد كان يتنقل بين بعض المناطق التي كانت تشتهر بالازدهار الثقافي والعلمي كتلمسان وفاس ومكة والقاهرة لتعلم مبادئ الإسلام والتفقه على يد علمائهم...، للمزيد ينظر :عبد القادر زبادية :دراسة في أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ،الجزائر ،دت،ص233.

[3] يحي بوعزيز: تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية ...، المرجع السابق ،ص16.

[4] علي بوترعة : القوافل التجارية ودورها في العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب ومنطقة السودان جنوب الصحراء ،خلال القرنين 18-19م ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ،إشراف :بوصفصاف عبد الكريم ،الجامعة الأفريقية العقيد أحمد دراية ،أدرار ،2009-2010م،109،110.

هناك طريقة ثالثة وهي الطريقة السنوسية، والتي تأسست على يد سيدي محمد بن علي السنوسي[1]، وقد كان لهذه الطريقة أيضا أثر كبير في نشر الإسلام في غرب القارة الأفريقية وفي حوض نهر النيجر خلال القرن19م[2] .

ثانيا: رواج الكتب والمخطوطات : كانت الكتب من السلع الرائجة في المبادلات التجارية وهي أهم أصناف التجارة المغاربية ، وذلك لارتفاع أسعارها وجني التجار أرباح كثيرة من بيعها سواء الكتب المغربية أو الأتية من بلاد المشرق [3]، وكان موسم الحج فرصة لمبادلة الكتب ،حيث كان الحجاج يجلبون معهم أعداد متنوعة من الكتب والمؤلفات ويقمون بمبادلتها في المناطق التي يمرون بها أو إعادة نسخها [4].فكان الرحالة المغربي بن ناصر الدرعي أثناء ذهابه للحج يحمل معه كتاب الفه والده وأثناء مروره بعين ماضي ،طلب منه فقهاء هذه الأخيرة تركه لهم لكي ينسخونه فتركه لهم لكي تتم الفائدة حسب تعبيره[5]. وكانت قوافل الحج تنطلق من سجلماسة و تافيلالت وشنقيط كل عام وتسلك في طريقها للأراضي الحجازية الطريق الذي يمر بإقليم توات ،وقد لعبت هذه القوافل دورا بارزا في بيع الكتب ومستلزمات الكتابة كالورق وبعض أنواع الحبر[6] .كما كانت الكتب المخطوطة والمنسوخة من الورق والأقلام من أهم البضائع التي كانت تحملها القوافل التجارية من الشمال إلى أسواق الصحراء، وذلك بسبب انتشار الثقافة العربية الإسلامية في مختلف المراكز العمرانية الصحراوية كتمبوكتو وتوات وورقلة وتقرت وغات وغدامس...،والتي كانت مقصد الكثير من العلماء من مختلف

[1] **السنوسي محمد بن علي** :مؤسس الطريقة السنوسية ،وتنتسب إليه الدولة السنوسية التي قامت بليبيا ،ولد سنة 1787م بمدينة مستغانم بالجزائر ،وتعلم علي يد علمائها ،أجاب عدة مناطق واعظا ودارسا لأحوال الطرق الصوفية ،توفي في واحة جغبوب بجنوب ليبيا 1850م.ينظر: محمد فاضل علي وسعيد إبراهيم كريدية :المرجع السابق ،ص 323.

[2] نفسه ،ص 45.

[3] رشيد حفيان :المرجع السابق،ص103.

[4] عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص 140.

[5] مختار حساني :(الأحوال الثقافية والسياسية للجنوب الجزائري من خلال رحلة الدرعي)،ضمن كتاب طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، الجزائر ،2001م ،ص 31.

[6] علي كرزيكة : المرجع السابق ،ص ص 162-163.

الجهات كمدينة طرابلس والجزائر وفاس ومكناس ومراكش للتدريس فيها ونشر الثقافة الإسلامية [1]. وبحكم الموقع الاستراتيجي لتوات بين الواحات الجنوبية الصحراوية المغاربية ،أصبحت نقطة مركزية وحلقة وصل بين حواضر ومدن المغرب الإسلامي في الشمال والمراكز الحضارية في بلاد السودان وقد نتج عن هذا الاتصال رواج الكتب والمخطوطات التي انتقلت من هذه الحواضر إلى منطقة توات [2]. وقد أشار الأستاذ عبد الله مقلاتي والأستاذ رموم محفوظ إلى أن علماء توات لهم العديد من المصنفات المخطوطة التي ماتزال محفوظة في خزائن ومكتبات مالي والنيجر وغانا ونيجيريا وموريتانيا ،وأهم هذه المكتبات هي:

- مكتبة أحمد بابا التنبكتي بمالي-وبها 127مخطوطا
- مكتبة ماما حيدة بمالي ،وبها 84مخطوطا
- مكتبات غانا ،وبها 31 مخطوطا
- مكتبتي شنقيط وودان بموريطانيا بها 8 مخطوطات
- مكتبتي كادونا وإبادان بنيجريا نبها 6مخطوطات[3] .

ولم يكتف علماء توات في نقل المخطوطات فقد اهتموا بالتدريس والإمامة وأنشأوا العديد من المدارس والرباطات "وبذلك أسهموا في إرساء نهضة علمية بمختلف الحواضر التي زاروها ودرسوا بها"[4] بها"[4]

[1] يحي بوعزيز :تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية ...، المرجع السابق ، ص 47.
[2] علي كرزيكة :المرجع السابق ،ص ص 159-162.
[3] عبد الله مقلاتي و رموم محفوظ: المرجع السابق ،ص 138.
[4] نفسه ،ص 137.

ثالثا: نقل العلماء.

من مميزات التبادل التجاري نقل العلماء وطلاب العلم من منطقة إلى أخرى بغرض طلب العلم أو الحصول على الإجازات أو الهروب من الظروف السياسية ،وعادة ما كانت هجرة العلماء وطلاب العلم بتجاه المشرق بهدف الدراسة ،أو إلى المغرب هروبا من تسلط الحكام ويعتبر موسم الحج فرصة لانتقال العلماء المتوجهين إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج ،حيث يلتقي العلماء هناك من مختلف الدول ليتم تبادل المعارف والعلوم ،كما كان مرور العلماء ببعض الحواضر الإسلامية فرصة لعقد اللقاءات وتبادل الأفكار وأخذ الإجازات عن علماء تلك الحواضر[1]. وكان العلماء يتمتعون بنصيب من الاحترام في المجتمعات التي يعيشون فيها وكانوا محل احترام وتقدير الجميع ،كما أنهم كانوا يلاقون الرعاية والتشجيع اينما حلوا ، بحيث ينشؤون المدارس ويحفظون القرآن لعامة الناس[2]. كما أدت القوافل التجارية كذلك إلى انتقال العلماء الذين ساهموا المساهمة الفعالة في ترقية الاتصال الإنساني ،و انتشرت الحضارة الإسلامية في السودان الغربي ، وكان للحواضر الصحراوية المغاربية دورا بارزا في انتشارها كحاضرة ورقلة بالجنوب الجزائري[3] ،كما كان لحاضرة توات كذلك دورا بارزا في انتشار الإسلام والثقافة العربية في منطقة السودان الغربي إذ نجد الكثير من العلماء التواتيين خلال القرن 12هـ/18م قد رافقوا القوافل التجارية إلى أفريقيا الغربية ومكثوا هناك بغرض التدريس أو لطلب العلم ،وكان لتنقلهم إلى بلاد السودان دورا كبيرا في تطور وازدهار الحياة العلمية في توات ،ومن أهم العلماء التواتيين الذين انتقلوا إلى بلاد السودان نجد: الشيخين عمر بن محمد بن المصطفى بن احمد الرقادي الكنتي، الذي كان يذهب كثيرا إلى بلاد التكرور لوجود عشيرته هناك ،والشيخ أبي زيد عبد الرحمان عمر التنيلاني ، أما عن أهم الطلبة و العلماء الأفارقة الذين قدموا إلى توات بغرض الدراسة نجد الشيخ عبد الله الفلاني الذي قدم إلى زاوية تنيلان من بلاد التكرور في

[1] رشيد حفيان: المرجع السابق ،ص 106.

[2] علي بوترعة : المرجع السابق ، ص 106.

[3] عبد القادر زبادية : (ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري) ، مجلة الأصالة التاريخية الثقافية، ع41،،الجزائر ،1971-1981م،ص ص145-146.

رحلة علمية لطلب العلم ودرس على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر التواتي التنيلاني[1] و مكث عنده شهرين وست ليالي لدراسة[2] .

كما ساهمت الحركة التجارية إلى تنقل بعض العلماء المغاربة من حواضر تلمسان وفاس إلى توات ليتولوا مناصب جديد كالقضاء والإفتاء والشورى أهمهم عبدالله العصنوني[3].

ومحمد بن عبد الكريم المغيلي[4] الذين دخلوا للمنطقة في القرن 15م وكان لهم دورا بارزا في الحياة العلمية بالمنطقة ،وقد تزايدت هجرة العلماء إلى الحواضر الأفريقية خلال القرن 18م ومن بينهم

---

[1] **الشيخ عبد الرحمان بن عمر التواتي التنيلاني:** هو الشيخ عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن معروف بن يوسف....،وهو عالم من العلماء ومرشد لإسلام ،ولد بمسقط رأسه بتنلان وهي إحدى قصور تيمي في الشمال الشرقي لمدينة أدرار، تفقه على يد شيوخ أجلاء ومنهم :الشيخ عمر بن عبد القادر ،السيد عبد الرحمان الجنتوري ،سيدي محمد بن أب المزمري ، ومن أشهر تلامذته: السيد محمد بن عبد الرحمان البلبالي، السيد عبد الحق بن عبد الكريم البكري، الشيخ سيدي عبد الله ، توفي أثناء عودته من الحج يوم 29صفر 1189هـ ،ودفن بمقبرة الإمام الشيخ سيدي عبد الله المنوفي، ينظر: الشيخ محمد بالعالم :الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني ،دار هومة ،ص ص 3-71/محمد عبد العزيز سيدي عمر :قطف الزهرات من أخبار علماء توات ،دط،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1985م،ص 37.

[2] **مبارك جعفري** :علماء منطقة توات وتأثيرهم في السودان الغربي خلال القرن12هـ/18م ندورية الكان التاريخية ،دار ناشري للنشر الإلكتروني ،السنة 5، ع16،الكويت ،2012م،ص ص 92-93.

[3] **عبد الله بن أبي بكر العصنوني914هـ/1508م**:هو محمد بن عبد الله بن أبي بكر العصنوني، دخل توات سنة862هـ/1438م قادما من تلمسان ،نزل بمنطقة تمنطيط وهناك تولى القضاء ،خالف عبد الكريم المغيلي في قضية طرد اليهود من المنطقة وهدم الكنائس ،ينظر: مبخوت بودواية ، الحركة العلمية في أقليم توات خلال القرون 8-10هجرية ،مذكرة لنيل شهادة =الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ،إشراف :سالمي زينب ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ وعلم الأثار ،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ،الجزائر،2011-2012م،ص ص 38-39./ابن بابا حيدة :المصدر السابق ،ص31.

[4] **محمد بن عبد الكريم المغيلي** :ولد في مدينة مغيلة ، يذكر الأستاذ مبروك مقدم أنه ولد في سنة 831هـ/1427م ،إلا ان الدكتور يحي بوعزيز يشير أن ليس له تاريخ ميلاد مضبوط والمرجح أنه ولد في مطلع القرن 9هـ/15م. درس ونشأ بتلمسان وحفظ القرآن على يد السيد أحمد أبن عيسى المغيلي التلمساني المعروف بجلاب ،كما تتلمذ على يد يحي بن يدير والشيخ عبد الرحمان الثعالبي ،عاش في تلمسان في الوقت الذي كانت تعيش فيه المنطقة عدة مشاكل ولأحداث وتقلبات واضطرابات سياسية داخليا وخارجيا ، اشتغل بالتدريس في تلمسان ،وكان ساخطا على الوضع السياسي المتعفن الذي كان يسود عرش بني زيان ،وانغماس الأمراء في الملذات ومفاسد الأجانب ،فتاقت نفسه للهجرة والهروب من هذه الأوضاع ،فغادر تلمسان قاصدا منطقة توات بالجنوب ،ونزل بمنطقة تمنطيط في سنة882هـ/1478م في أواخر عهد الدولة المرينية بالمغرب واشتغل هناك في القضاة والتدريس ،إلا أنه وجد الوضع في توات أكثر سوءا ، حيث وجد فيها جالية يهودية قد سيطرت على التجارة ، فقد كانوا يستغلون =الضعفاء ويحتكرون الأموال والسلع والبضائع ، فعزم على محاربتهم والقضاء على اثارهم ، إلا أنه لقي تعارض من قبل بعض

الشيخ أبي الأنوار بن عبد الكريم التينيلاني ،كما كانت هناك العديد من الطرق التي كانت تشهد حركة للعلماء كطريق توات وغدامس الذي كان يسمى "طريق الفقهاء" [1].

هذا وقد كان للقوافل دورا في التبادل الفكري والمعرفي ،حيث تعتبر فرصة لتبادل بعض المسائل الفقهية كالإفتاء ،او حل المشاكل بين التجار والحجاج ،كما نتج عنها نقل الأخبار من منطقة إلى أخرى. كما تؤدي بالإنسان في بعض الأحيان إلى معرفة المزيد من الأشخاص كصحبة في الطريق ، ما يؤدي إلى تبادل المعارف بينهم ،زيادة على ذلك التعرف على ثقافات بعض المناطق في الطريق ،مثل قضية غرس النخيل في واد سوف التي ذكرها الرحالة العياشي في رحلته حيث يقول "أخبرني أهل البلد أنهم إذا أرادوا غرس النخيل بحثوا في الأرض قليلا حتى يصلوا قليلا إلى الماء فيغرسونها حيث تكون أصولها في الماء ،ثم يردون عليها الرمل قليلا فلا تحتاج إلى السقي أبدا ،ويعالجونها بعد ذلك بأبعار الإبل وغيرها فيضعونها في أصولها ولولا ذلك لماتت"[2] . كما يمثل التقاء التجار من مختلف الجهات في بعض المراكز التجارية فرصة اللقاء والتعارف بين الأحباب والأقارب والأصدقاء والعلماء والمثقفين حيث يتم هناك تبادل الأخبار والمعلومات عن مختلف مشاكل الحياة وشؤونها وقضياها [3].

العلماء ومن بينهم عبد الله العصنوني ، فانتقل الشيخ المغيلي إلى فاس بالمغرب الأقصى للاستفتاء في قضية محاربة اليهود إلا أنه لم يجد من يسانده في قضيته، ولما يئس من تغير الأوضاع بالمنطقة توجه إلى بلاد السودان الغربي ، وقام هناك بنشر الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية ، عاد إلى توات وأستقر بها حتى توفى بزاويته بوعلي 910هـ/1504م ودفن فيها .ينظر: يحي بوعزيز :تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية ....المرجع السابق، ص ص 63-76. /محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري التمنطيطي : درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ،تح: أبو أنس عبد القادر نعيوي ، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر ، غرداية ،2017م ،ص ص 42-43. /مبروك مقدم :الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية ،دط، دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران ،2004م،ص ص 27-31.

[1] رشيد حفيان: المرجع السابق ، ص ص 107-108.

[2] نفسه: ص ص 105-108.

[3] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر ....،المرجع السابق ،ص409.

المبحث الثالث :الأثار العمرانية:

ساهمت القوافل التجارية التي كانت تجوب بلاد المغرب العربي وبلاد السودان ودول المشرق والتي كانت تمر بالمدن والحواضر الصحراوية المغاربية في انتقال العديد من المؤثرات الحضارية .وهنا نتساءل :فيما تمثلت الآثار العمرانية التي خلفتها الحركة التجارية بين الشمال الأفريقي وبلاد السودان؟

أولا: نمو وتطور العمران.

لقد ساهمت القوافل الصحراوية في نمو وتطور العديد من المراكز والمدن التجارية ،حيث عرفت هذه المراكز ولوج واستقرار العديد من التجار باعتبارها محطات للاستراحة أو للتزود بالسلع والبضائع الموجودة في أسواقها ،ومن هذه المراكز :غدامس ورقلة وتوات وسجلماسة [1]، وزويلة ومرزق وغات [2] ، "وفي مختلف أطراف الصحراء توجد مراكز عمرانية كبيرة ليس لها أهمية فيما عدا دورها التجاري ،حيث تنعدم فيها حتى مقومات الحياة نفسها ،ومثال ذلك أن غدامس التي هي واحة فقيرة للغاية ،لم تعرف ما نالها من الرخاء والازدهار إلا بفضل براعة أهلها في التجارة"[3] . وعادة ما كانت المناطق التي تمر بها القوافل التجارية مناطق عامرة بالسكان ،وقد تطورت وتحولت إلى مدن عمرانية بفضل القوافل ،كما نمت العديد من والعواصم الإسلامية في غرب أفريقيا ،وعرفت هذه العواصم إشعاعا ثقافيا واقتصاديا لاستقطابها التجار من مختلف المدن الصحراوية المغاربية الواقعة على طرق القوافل ،والتي كانت تعتبر الوسيط بين السودان الغربي ومدن الشمال ،وقد حفظت لنا المصادر والرحلات النمو والتطور الذي عرفته هذه المدن كغدامس وغات، ورقلة ،توات ،سجلماسة ،بني ميزاب ،عين صالح ، وتمبكتو في السودان الغربي[4].

---

[1] عبد الرحمن قدوري: (تجارة القوافل عبر الصحراء بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال نهاية العصر الوسيط)، مجلة متون ، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعدية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،مج11، ع1، 1افريل219م،ص 151.

[2] فاطمة علي إمحمد إحويلات :المرجع السابق ،ص 224.

[3] إسماعيل العربي :المرجع السابق ،ص 50.

[4] رشيد حفيان المرجع السابق ،ص ص 109-110.

و هنا يصف لنا الرحالة الأغواطي بني ميزاب بقوله : "...أنها تضم الفين وأربعمائة مسكن بما في ذلك المساجد..." وعن ورقلة يقول "...و ورقلة بلدة كبيرة جدا ولها سور يحيط بها فيه عدة أبواب..."[1] . كما وصف الرحلة الحضيكي مدينة بسكرة بقوله:"...وفي وسط النخيل مدينة عظيمة ومسجد كبير ومنارته..."[2]. ويتبين لنا من خلال الوصف الذي قدمه هؤلاء الرحالة عن هذه المدن التطور العمراني الذي شهدته هذه المدن خاصة في القرنين 18-19م .

كما ساهمت رحلات الحج من رفع المستوى الثقافي وتطوير العمران ، حيث تمكن الحجاج الأفارقة من الاتصال بالعلماء و المهندسين واصطحابهم إلى بلادهم لتطويرها ، وقد غلب الطراز العمراني الأندلسي على تمبكتو مجسدا في المساجد والدور والقصور[3] .

ثانيا: حفر الآبار.

يعتبر الماء من أولويات الرحلة ولوازم السفر التي حرص الرحالة على توفيره قبل رحلتهم ،خوفا من تعرضهم للعطش والأهوال خاصة في المناطق الصحراوية المعروفة بالجفاف[4]. وقد حفرت على المسالك الصحراوية العديد من الآبار التي كانت تستعمل من طرف رعاة الإبل والقوافل التجارية وعابري السبيل للتزود بالمياه الصالحة للشرب[5] .

وهنا يذكر **دوماس** في كتابة الصحراء الكبرى أثناء مرافقته لقافلة متجهة لمملكة الهوسا بعض الآبار التي حفرت على أطراف الصحراء والتي كانت مقصد للقبائل الصحراوية ومكا ن توقف القوافل التجارية للتزود بالماء حيث يقول: "...عند العصر توقفنا عند وادي النشو الذي كان جافا غير أننا كنا نعرف أبارا به وبقرب أحد هذه الآبار نصب خبيرنا خيمته ..."وفي موضع أخر يقول

[1] الأغواطي :المصدر السابق ،ص 90-92.

[2] الحضيكي :المصدر السابق ،ص 86.

[3] قاسمي بختاوي :(القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام)، مجلة العلوم الاجتماعية ، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ،ع4 ، برلين –المانيا ،جوان 2018م، ص 123.

[4] رشيد حفيان :المرجع السابق، ص111.

[5] أحمد ذكار :المرجع السابق ، ص 77.

"...مشينا هكذا دون توقف عبر الرمال التي أنهكت جمالنا ، حتى وصلنا جبل مويدير، حيث توقفنا على مقربة من ثلاثة أبار جيدة، وهو مكان تعرفه كل قبائل الصحراء لتوفر الماء فيه بكثرة..."[1] وكان تجار القوافل من المشرفين على حفر الآبار على أطرف معظم شبكات تنقلهم ، وقد نتج عن عملية حفر الآبار عدة أثار منها استقطاب العديد من القبائل و استقرارها حول هذه الآبار ، مما أدى إلى تكوين الواحات المنتشرة في أغلب مسالك القوافل التجارية ،كما أنعكس توفير عنصر الماء على النشاط التجاري والزراعي داخل هذه الواحات [2].

ومن أهم هذه الواحات التي قامت على الموارد المائية واد سوف و ورقلة بالجزائر وغدامس وغات بطرابلس الغرب[3].

هذا ونتيجة للحركة التجارية القائمة بين شمال أفريقيا وبلاد السودان أسست شركات تجارية وأقيمت مستودعات على أطراف الصحراء وظهرت خدمات الإعلام التجاري ،وحفرت الآبار، وبنيت الديار. وهنا أورد المقري صاحب كتاب نفح الطيب عن جده التاجر قوله: " ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار، واتخذوا طبلا للرحيل، وراية تقدم عند الميسر ...فأخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الإماء ،وكان التلمساني يبعث بالصحراء بما يرسم له من السلع ،ويبعث اليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر ،والسجلماسي كلسان الميزان... ويكاتبهما بأحوال التجارة وأخبار البلدان حتى اتسعت أموالهم وإرتفعت بالضخامة أحولهم "[4].

[1] أوجين دوماس: المصدر السابق ،ص ص 66 -88.
[2] بشار قويدر :المرجع السلبق ، ص17.
[3] صالح بوسليم وعبد القادر علوان :المرجع السابق، ص 336.
[4] إسماعيل العربي :المرجع السابق ،ص52.

ومما تقدّم يمكن القول:

– لم يتوقف دور القوافل التجارية على الجانب الاقتصادي فقط ،بل تعداه ليشمل الجوانب الثقافية والعمرانية .

– أن للمدن والحواضر الصحراوية المغاربية كغدامس وغات وتوات و ورقلة دور في ربط الصلات بين شمال القارة وجنوبها ،خاصة في الجوانب الاقتصادية والثقافية .

– كان لعلماء توات دورا بارزا في نشر الإسلام في غرب القارة الأفريقية.

– ساهمت القوافل التجارية المغاربية التي كانت تجوب بلاد السودان في توفير رؤوس الأموال المتمثلة في قناطر من الذهب والتبر والرقيق ،وتحسين المستوى المعيشي وتحقيق الأمن الغذائي للعديد من المغاربة .

– لم يقتصر دور التجار المغاربة في مزاولة التجارة بقدر ما كان يشمل نشر الثقافة الإسلامية بين الأفارقة.

– هناك عدة طرق صوفية ساهمت في نشر الإسلام في غرب القارة الأفريقية كالقادرية والتجانية والسنوسية .

–كان للقوافل التجارية وقوافل الحج دورا بارزا في التبادل الفكري والمعرفي، حيث كانت تمثل فرصة لتبادل الأخبار والمعلومات بين التجار وبين الحجاج.

–ساهمت القوافل التجارية في نمو وتطور العديد من المراكز والمدن التجارية التي كانت تعتبر نقطة التقاء التجار ومحطة للاستراحة.

– تعتبر عملية حفر الآبار على أطراف الصحراء من الأثار العمرانية للقوافل التجارية

الخاتمة

بعد دراستي لموضوع "**العلاقات التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية المغاربية (المغرب الأقصى- الجزائر-طرابلس الغرب)خلال القرن12هـ/18م وبداية القرن 13هـ/19م**" ،توصّلت لمجموعة من الاستنتاجات أهمها:

- أدى الموقع الاستراتيجي للمدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والجزائر وطرابلس الغرب، دورا بارزا في ازدهارها اقتصاديا وحضاريا ،وذلك باعتبارها همزة وصل بين الشمال والجنوب ،ولوقوعها على الطرق التجارية المؤدية إلى بلاد السودان ، وباعتبارها محطات استراحة لقوافل الحج التي تتوقف فيها للاستراحة أو لتزود بالبضائع والمتاجرة مع الأهالي .

- كانت القوافل التجارية التي تجوب بلاد المغرب العربي تنقسم إلى قسمين، منها التجارية البحتة وقوافل ركب الحج التي لم يكن غرضها ديني فقط بقدر ما كان غرضها تجاري، حيث كانت هذه القوافل تقوم بالمتاجرة مع مختلف المناطق التي تمر بها. وكانت هذه القوافل تقودها مجموعات بشرية تختلف حسب مهامها كالدليل والحراس وغيرهم معتمدة على وسيلة النقل المتمثلة في الحيوانات كالجمل والخيل والبغال، وكان لابد من تزويد هذه القوافل من تنظيم محكم لبلوغ غايتها ، وذلك بتزويدها بالجمال والبضائع والمؤونة الغذائية التي تغطي حاجة القافلة طيلة سفرها .

- كانت القوافل التجارية تتعرض أثناء رحلتها لعدة مخاطر وصعوبات التي كانت تعرقل سيرها كانعدام الأمن في الطريق بسبب أعمال النهب والسطو من قبل قطاع الطرق، وانعدام الماء والتيه في الصحراء وبعض الكوارث الطبيعية كالرياح والزوابع الرملية والحرارة.

- أدّت لعض القبائل الصحراوية؛ كالشعانبة والخنافسة والتوارق دورا بارزا في تجارة القوافل الصحراوية، حيث كانت تقوم بتسيير القوافل، وكانت تزودها بالجمال وتقدم الأدلاء وتقوم بحماية هذه القوافل من قطاع الطرق، وفي نفس الوقت مارست هذه القبائل أعمال النهب والسطو ضد القوافل ،إضافة إلى بعض الضرائب التي كانت تفرضها عليها.

– واجهت الدول المغاربية المشاكل التي كانت تتعرض لها القوافل الصحراوية بجملة من الإجراءات كتزويدها بالأسلحة للدفاع عن نفسها من قطاع الطرق ،إضافة إلى تزويدها بأدلاء لهم معرفة جيدة بمسالك الطرق الصحراوية وأماكن تواجد الماء.

– هناك عدة طرق تجارية كانت تسلكها القوافل التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية المغاربية وكان لهذه الطرق دورا هاما في تنشيط الحركة التجارية بين هذه الحواضر، وقد تحكمت في هذه المسالك عدة شروط ؛كوفرة الماء والكلأ والأمن وقرب المسافة. وأن أهم طريق كان يربط المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى بالمدن والحواضر الصحراوية بطرابلس الغرب هو طريق الحج.

– لعبت الأسواق دورا بارزا في المبادلات التجارية بين الحواضر الصحراوية المغاربية، باعتبارها مراكز تجارية للقوافل الصحراوية . وقد تنوعت الأسواق التجارية في هذه الحواضر ،إلى أسواق موسمية كسوق مرزق وسوق غات الذي ينعقد مرة في العام وأسبوعية ؛كسوق غدامس ووادي ميزاب ،وأخرى أسواق دائمة.

– تنوعت السلع والبضائع التي كانت تعرض داخل هذه الأسواق، فمنها المحلية وأخرى مستوردة.

كما تنوعت أساليب التعامل التجاري داخل هذه الأسواق كالتعامل بالعملة والمقايضة، إضافة إلى استعمال المكاييل والمقاييس والموازين.

– كانت المقايضة أهم طريقة يتم التعامل بها داخل هذه الأسواق في المعاملات التجارية، وذلك لقلّة العملة. وهناك عدّة عملات قد شاع استخدامها في المدن والحواضر الصحراوية المغاربية، فبعضها محلية ،والبعض الأخر مستورد من الخارج. إلى جانب ذلك هناك عدة سلع كانت رائجة في المبادلات التجارية بين المدن و الحواضر الصحراوية. وقد تنوعت هذه السلع فهناك سلع مستوردة من الخارج

وأخرى محلية، وأكثرها كان مستورد. وكان الذهب والعبيد والتمر من أهم السلع الرائجة في المبادلات التجارية. ولم يتوقف دور القوافل التجارية على الجانب الاقتصادي فقط ،بل تعداه ليشمل الجوانب الثقافية والعمرانية .

– كان للمدن والحواضر الصحراوية المغاربية كغدامس وغات وتوات و ورقلة دور في ربط الصلات بين شمال القارة وجنوبها ،خاصة في الجوانب الاقتصادية والثقافية . وكان لعلماء توات دور بارز في نشر الإسلام في غرب القارة الأفريقية. ولم يقتصر دور التجار المغاربة في بلاد السودان في مزاولة التجارة بقدر ما كان يشمل نشر الثقافة الإسلامية بين الأفارقة. وهناك عدة طرق صوفية ساهمت في نشر الإسلام في غرب القارة الأفريقية كالقادرية والتيجانية والسنوسية .

– ساهمت القوافل التجارية المغاربية التي كانت تجوب بلاد السودان في توفير رؤوس الأموال المتمثلة في قناطر من الذهب والتبر والرقيق ،وتحسين المستوى المعيشي وتحقيق الأمن الغذائي للعديد من المغاربة .

–كان للقوافل التجارية وقوافل الحج دورا بارزا في التبادل الفكري والمعرفي، حيث كانت تمثل فرصة لتبادل الأخبار والمعلومات بين التجار وبين الحجاج، كما ساهمت القوافل التجارية في نمو وتطور العديد من المراكز والمدن التجارية التي كانت تعتبر نقطة التقاء التجار ومحطة للاستراحة ومناطق عبور للقوافل.

ولا يسعني في الختام، إلا أن أقول أني حاولت قدر المستطاع تسليط الضوء على تاريخ هذه المدن والحواضر والعلاقات التجارية بينها إلا أن هذا الموضوع كان ولازال يحتاج إلى المزيد من البحث والتدقيق ؛ بهدف نقص الغبار عنه، وأخيرا فإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وإن أصبت فمن الله عز وجل.

والله ولـــــــــــــــــــــــــــــــي التوفيـــــــــــــــــــــــــــــــــــق.

الملاحق

الملحق رقم(1) : طريق الحج الذي تتبعه العياشي[1]

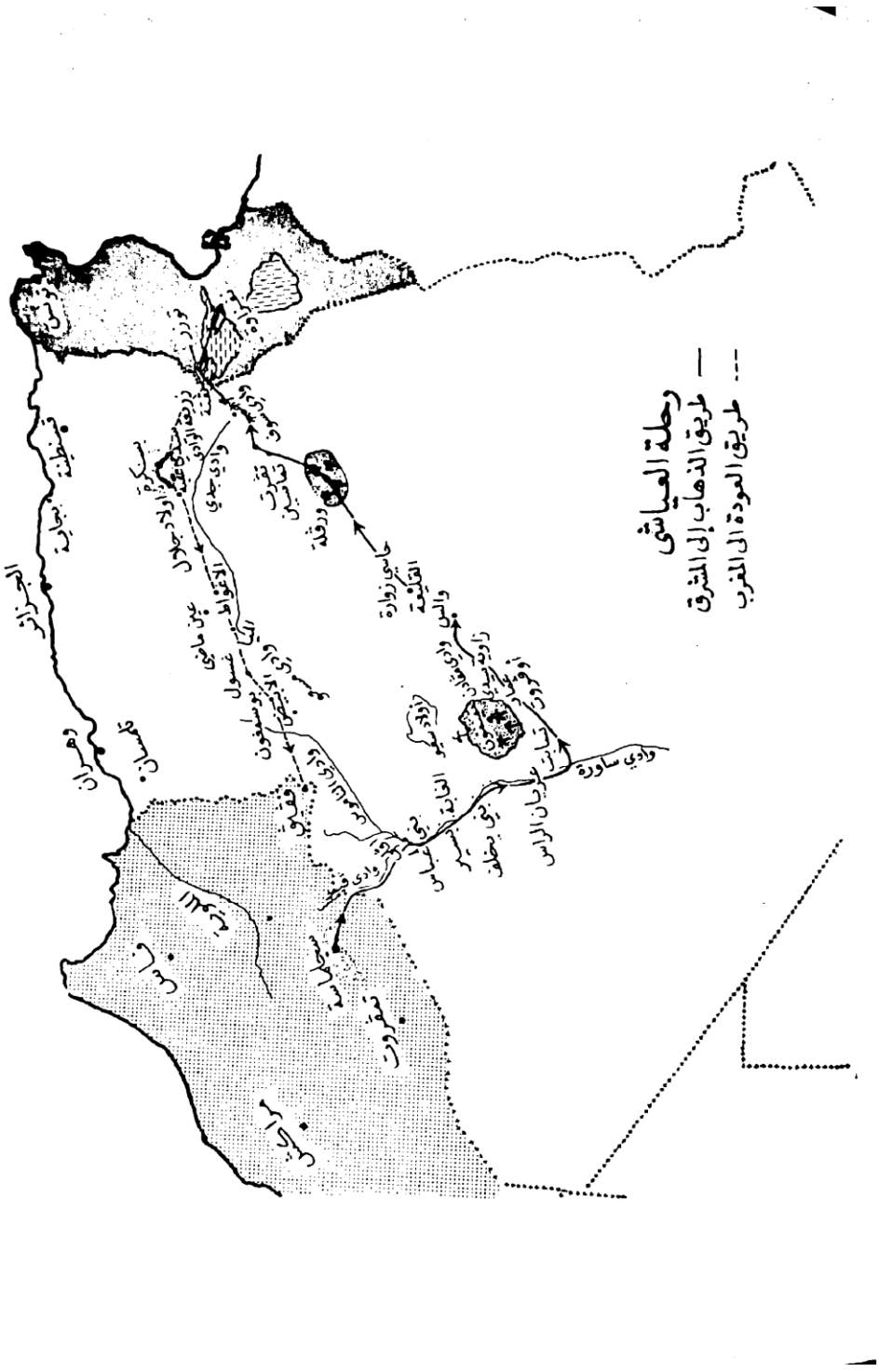

[1] مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981م،ص95.

الملحق رقم(2): وصول قافلة تجارية إلى أفريقيا جنوب الصحراء[1]

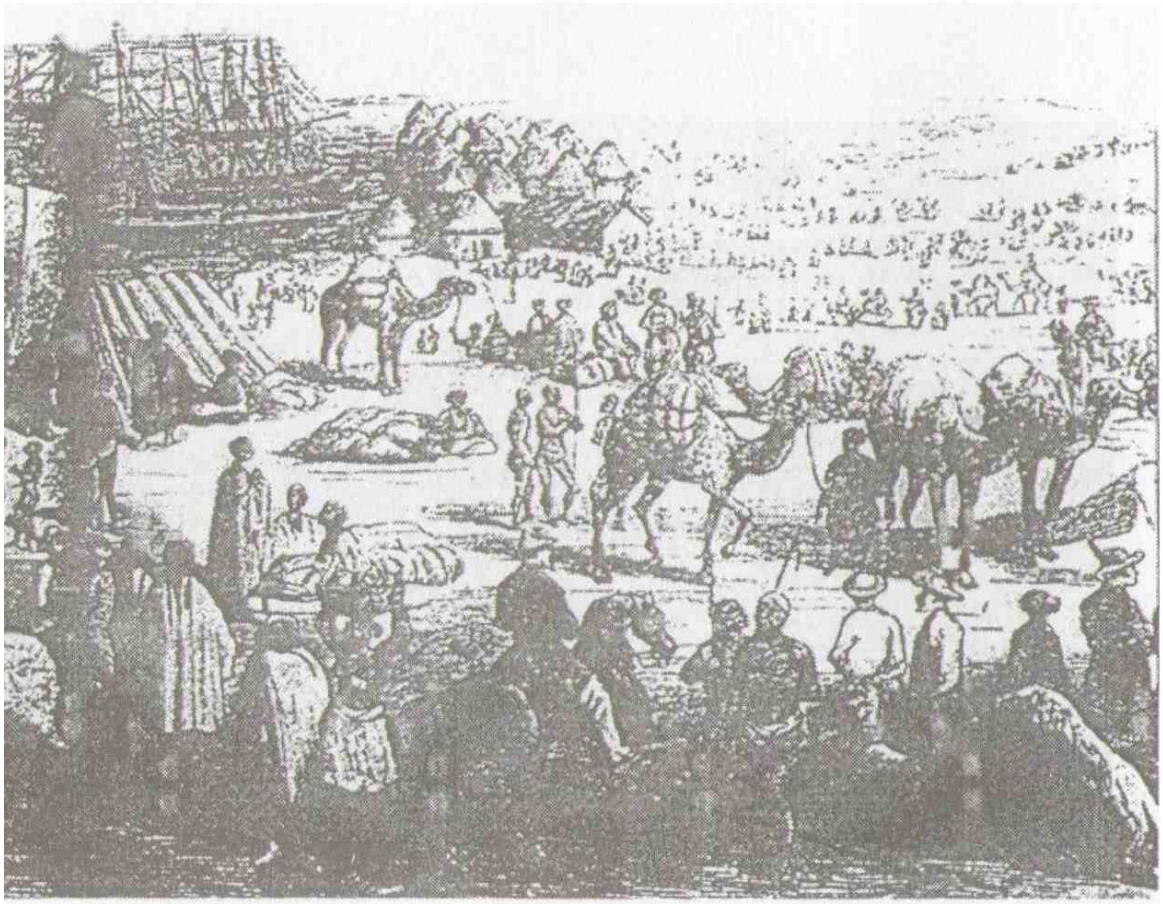

وصول القوافل التجارية الى اعالي نهر السنغال 1853 -
كما كان قد رسمها الرحالة بارك

[1] نقلا عن: عبد القادر زبادية: دراسات عن أفريقيا جنوب الصحراء ...،المرجع السابق، ص 267.

الملحق رقم(3) الطرق التجارية في القرن التاسع عشرفي شمال وغرب افريقيا [1]

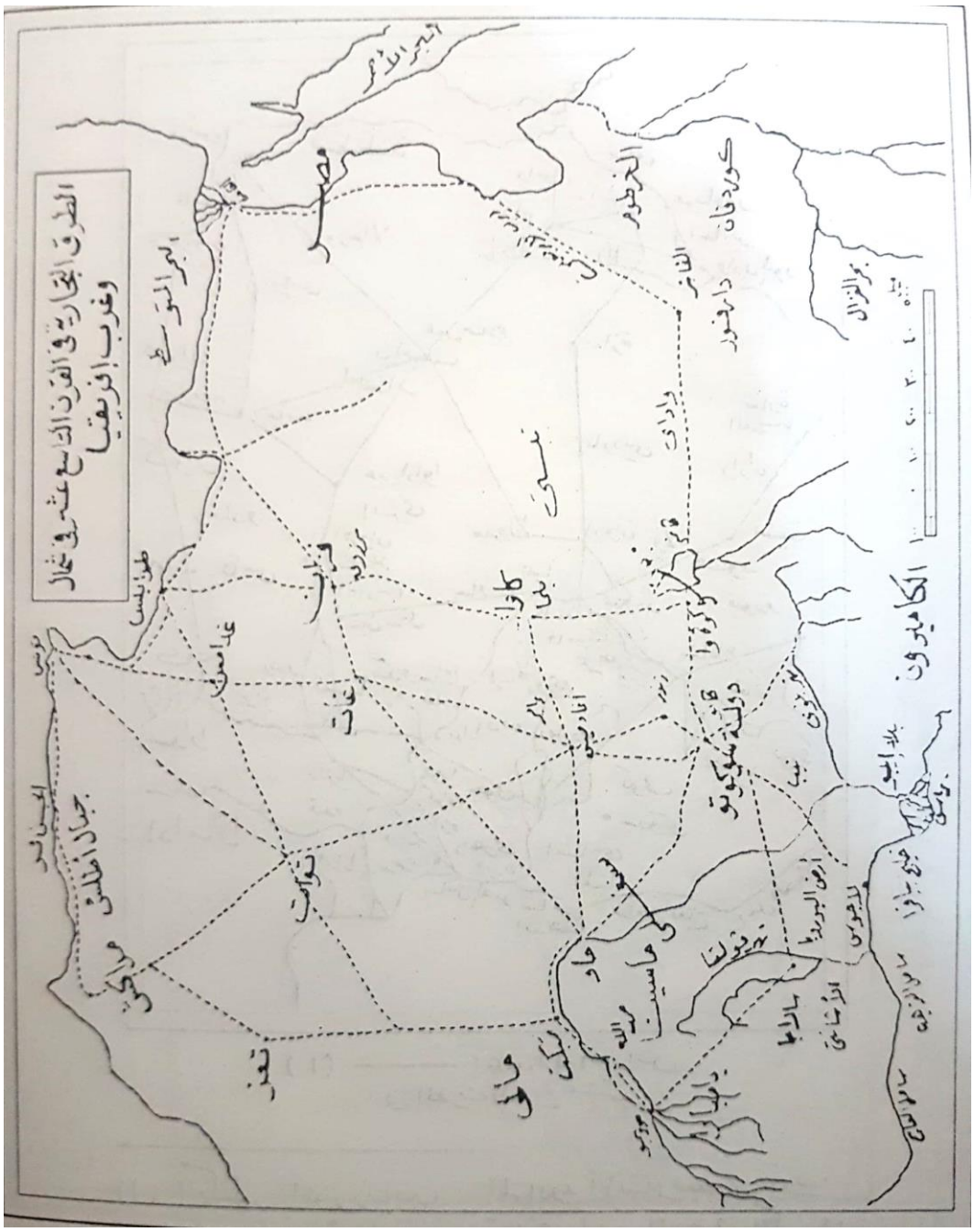

[1] نقلا عن: كتاب القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ...، المرجع السابق، ص78.

الملحق رقم(4): مسير قافلة الصحراء من متليلي إلى أفريقيا جنوب الصحراء[1]

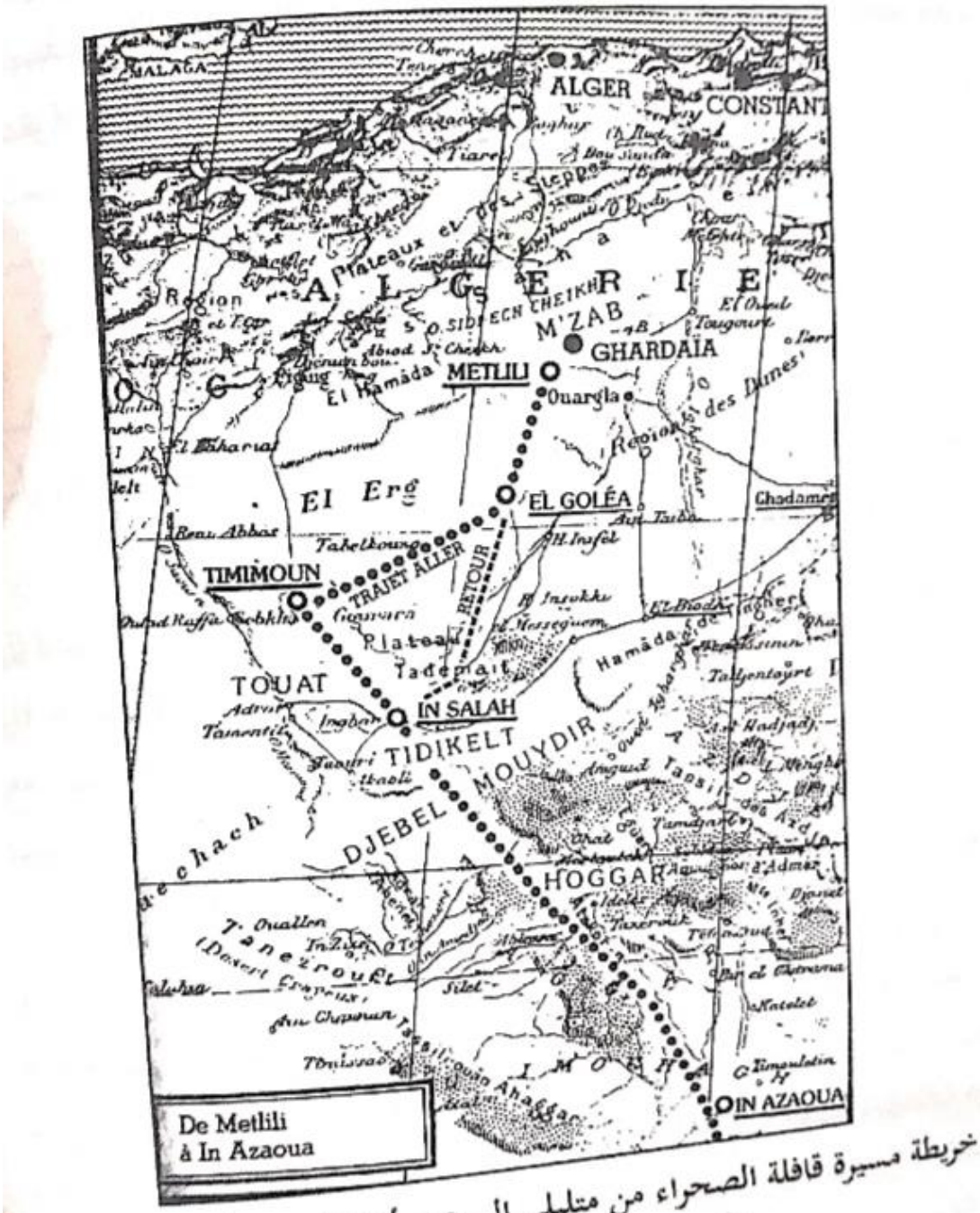

خريطة مسيرة قافلة الصحراء من متليلي إلى عين أزواوة، (عن أو.دوما الصحراء الكبرى، ط3. باريس 1985 ص 101).

[1] نقلا عن : ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني : المرجع السابق، ص90.

الملحق رقم(5): خريطة تبيّن موقع إقليم توات[1]

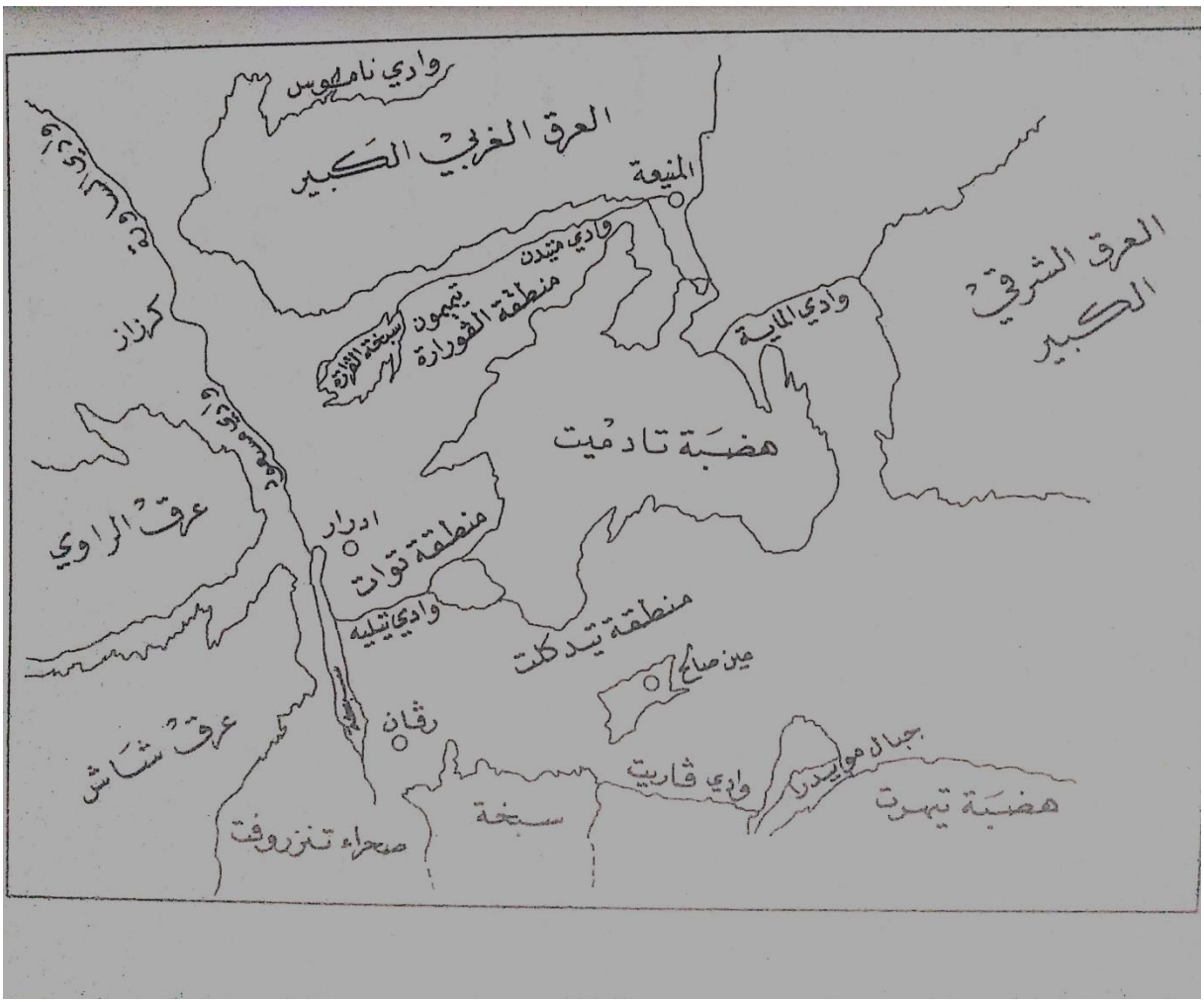

[1] نقلا عن: فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص3.

الملحق رقم(6) خريطة تبيّن الطرق التجارية الرابطة بين أسواق الشرق الجزائري والأسواق السودانية والليبية[1].

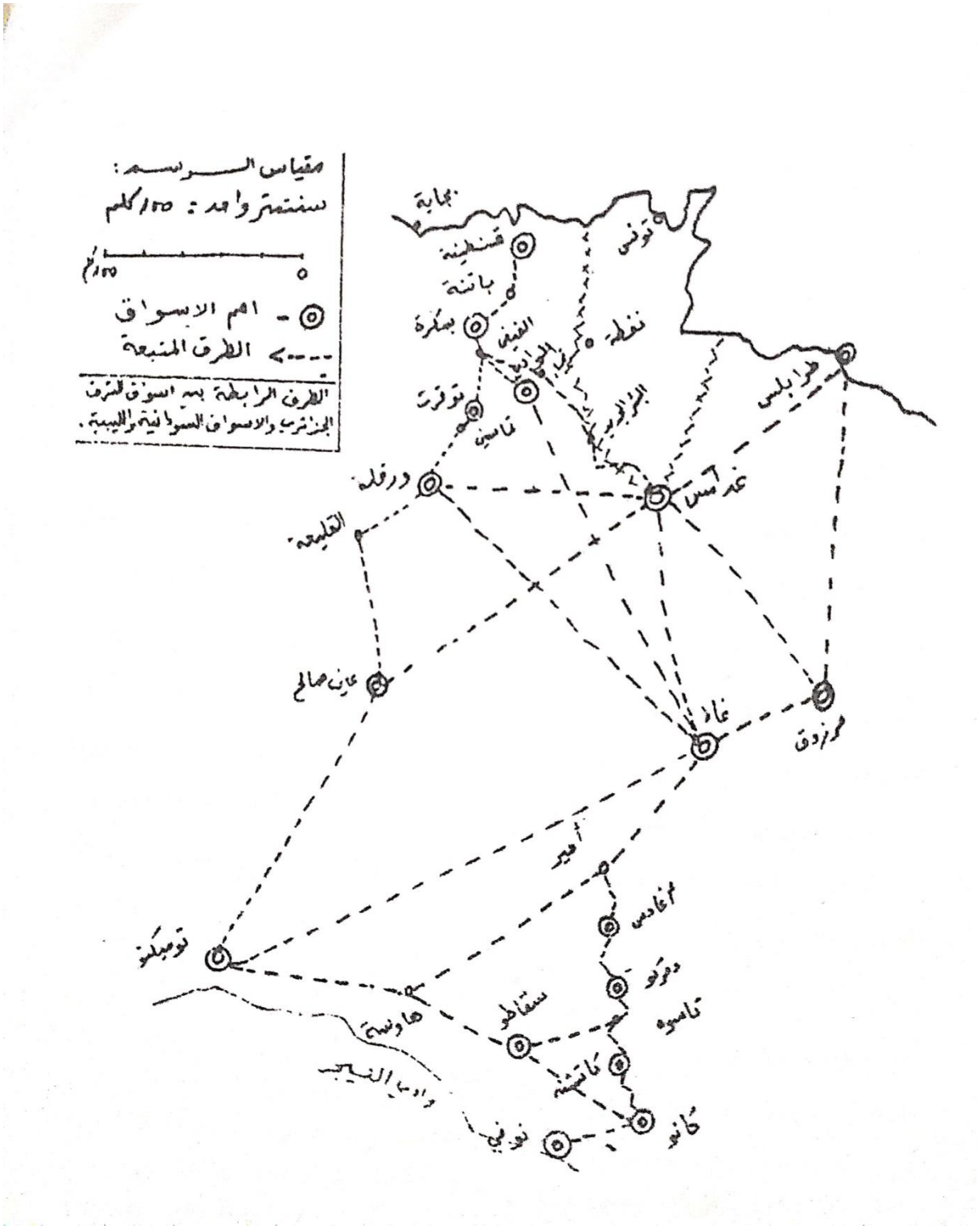

[1] نقلا عن: محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص173.

الملحق رقم(7) أهم الطرق التجارية الرابطة بين أسواق الشرق الجزائري والأسواق المغربية[1]

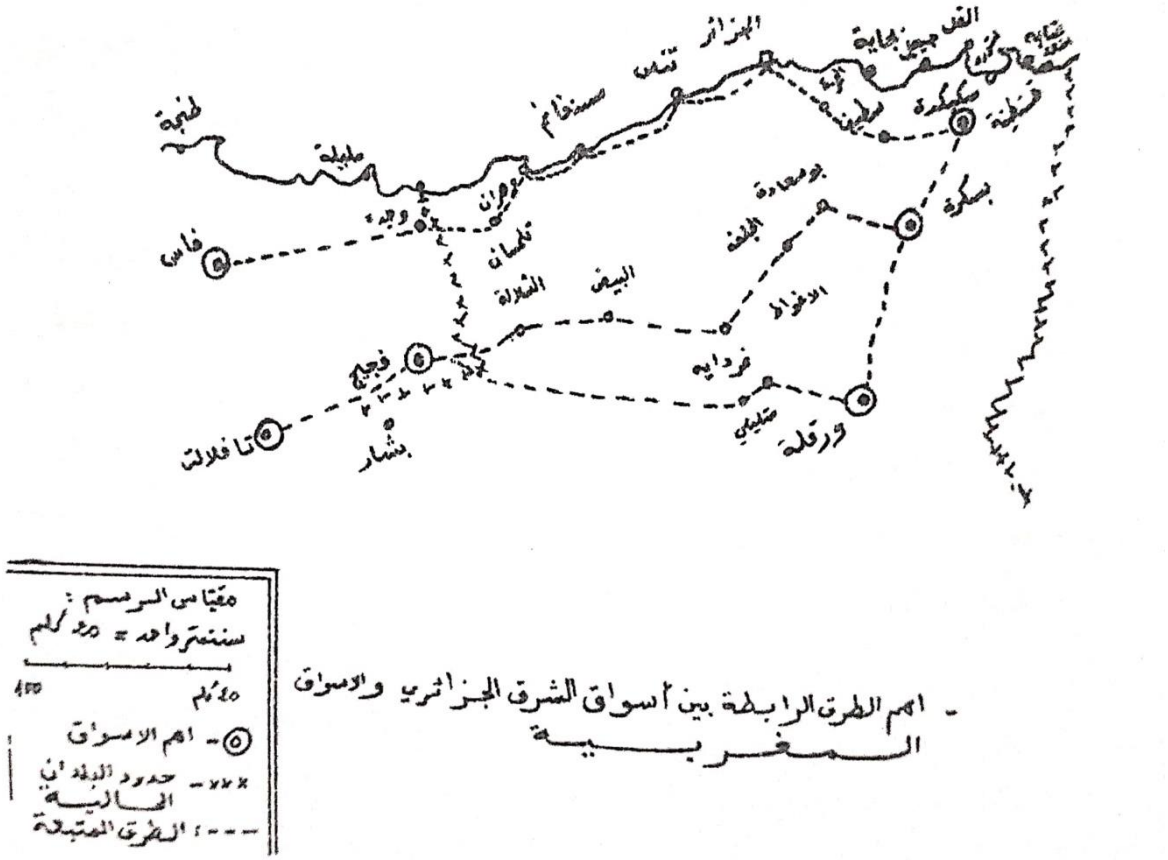

- اهم الطرق الرابطة بين أسواق الشرق الجزائري والاسواق المغربية

[1] نقلا عن: محمد العربي الزبيري: المرجع السابق ، ص181.

الملحق رقم(8) أهم الواردات والصادرات بين الشرق الجزائري والجنوب التونسي وغدامس[1]

أهم الأسواق	المقاصد	المواد المصدرة	المواد المستوردة
قسنطينة	تونس	الصوف ، الجلود المدبوغة ، التمور الممتازة ، الشواشي العادية ، ريش النعام	المصنوعات الأوربية ، العطور ، التوابل ، القهوة ، الأقمشة القطنية والحريرية .
الوادي	نفطة نفطة	التبغ ، الفوة والتمور	مواد البزازة ، المواد العطرية ، الأقمشة الحريرية ، الأسلحة ، الكبريت .
توقرت	نفطة غدامس	الأقمشة الصوفية العادية ، التمور والمظلات المواد العطرية ، التمور الحبوب ، الزيوت ، الأقمشة .	الأقمشة القطنية ، العطريات والمصنوعات الأوربية . التبر ، العبيد ، جثث النعام ، البخور السوداني .
ورقلة	غدامس	الأقمشة الحريرية والقطنية ، التمور ، الحبوب ، الزيوت ، الأسلحة وأنواع من	التبر ، العبيد ، العاج البخور السوداني ، وكثير من المنتوجات الإفريقية .

[1] نقلا عن : محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ،ص159.

الملحق رقم)9)جدول يوضّح أهم العملات الوطنية ومايُقابلها من العملات الأجنبية[1]

اسم العملة	قيمتها بالفرنك الفرنسي	بالدولار الاسباني	بالبياستر القوي	بالتونسية	بالكوري السوداني
السلطاني أو المحبوب	١١	٢،١	٢	١١٠	٢٢٠٠
البياستر الفضي القسنطيني	٣،٨٥	٠،٧٣	٠،٧	٣٨،٥	٧٧٠
الريال بوجه (البوجو)	٣،٣	٠،٦٣	٠،٦	٣٣	٧٢٦
النصف (بوجو)	١،٦٥	٠،٣١٥	٠،٣	١٦،٥	٣٦٣
الثمن (ثمن بوجو)	٠،٤١	٠،٠٧٥	٠،٠٧	٤،١	٩٠،٧
البيتاك شيك	١،١	٠،٢١	٠،٢	١١	٢٢٠
الريال مجبور	١،٥	٠،٢٧	٠،٢٧	١٥	٣٠٠
الموزونة	٠،١٣	٠،٠٢	٠،٠٢	١،٣	٢٦
الصايم	١،٨	٠،٢٨	٠،٢٨	١٨	٣٦٠

[1] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ،ص71.

الملحق رقم(10) جدول لأهم وحدات الوزن والكيل[1]

اسم الوحدة	مقابلها بالكيلو غرام	مقابلها بالغرام
الصاع (للحبوب)	١٣٠	
القلبة (للحبوب)	١٦،٢٥	
الربعي (للحبوب)	٤،٠٦	
الرطل الكبير		٩٢١،٥
الرطل الخضاري		٦١٤،٣
الرطل العطاري		٥٤٦،٠٨
الرطل الفضي		٤٩٧،٤٣
المثقال		٤،٦٧
الربع (للزبدة)	٣،٦٣	
الذراع ـ نصف متر		

[1] نقلا عن: محمد العربي الزبيري: المرجع السابق،ص72.

الملحق رقم (11) خريطة لأهم الطرق التجارية بين البلدان المغاربية[1]

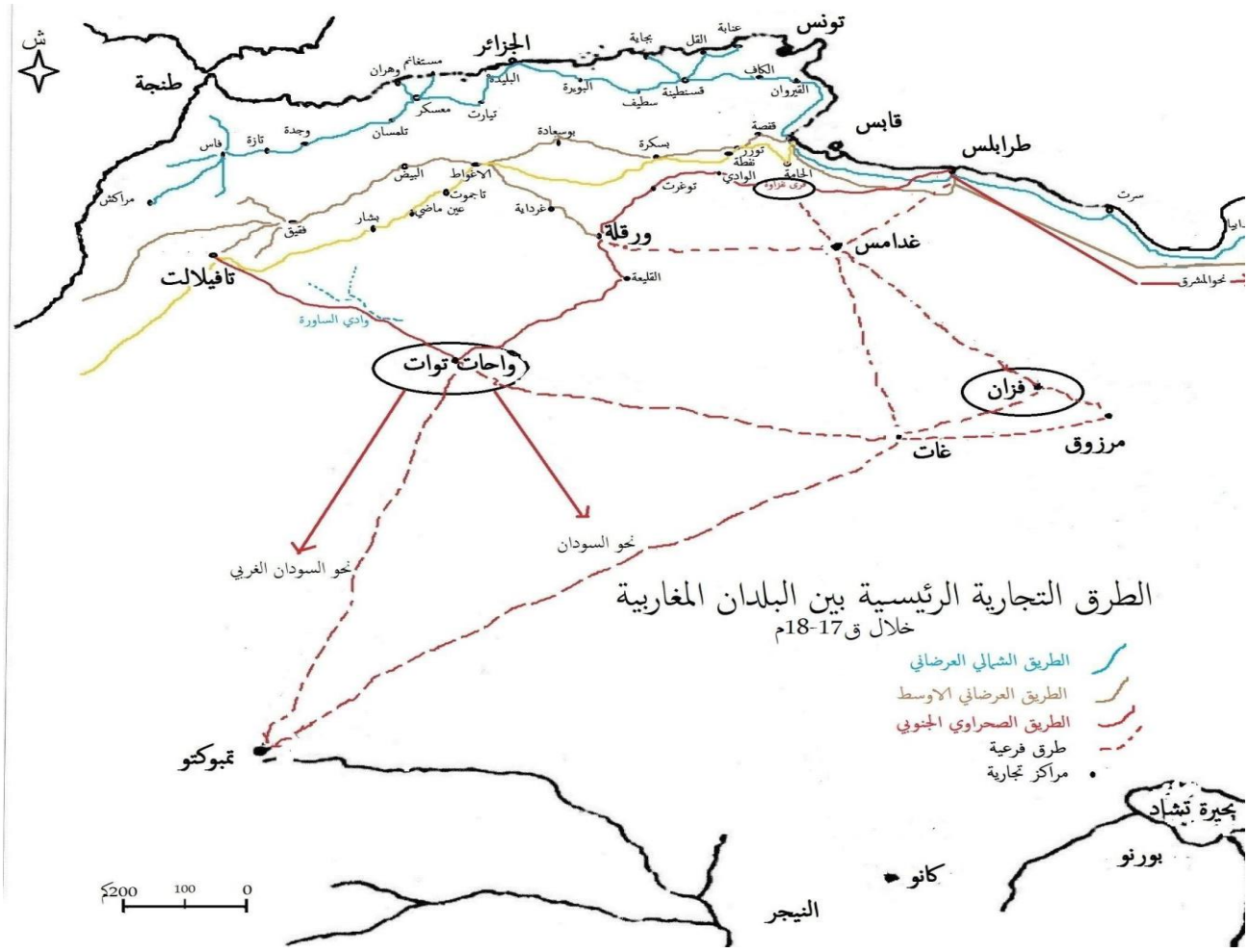

[1] نقلا عن: رشيد حفيان : المرجع السابق ص،31.

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع:

1- المصادر العربية والمعرّبة:

1. ابن بابا حيدة (محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم): القول البسيط في أخبار تمنطيط ،تح: فرج محمودفرج ،دط ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1977م.
2. الأدريسي أبو عبدالله محمد الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ،دط،ددن،ج3،دت.
3. الأغواطي الحاج ابن الدين الأغواطي : رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال افريقيا والسودان والدرعية، تر و تح: أبو القاسم سعد الله ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011م.
4. البكري أبي عبيد: المغرب في ذكر أفريقية والمغرب ، دار الكتاب الإسلامية ،القاهرة ،دت.
5. التمنطيطي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ،تح: أبو أنس عبد القادر نعيوي ، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر،غرداية،2017م.
6. الحشائشي محمد بن عثمان: جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تع وتح: علي محمد المصراتي،ط1،دار لبنان للنشر والتوزيع،بيروت،1965م.
7. الحضيكي السوسي أبي عبد الله محمد بن احمد: **الرحلة الحجازية 1189هـ**، تح: عبد العالي لمدبر،ط1،مركز الدراسات والأبحاث واحياء التراث ، الرباط، المغرب، 1432هـ/2011م.
8. الحموي ياقوت: معجم البلدان ،دط،،دار صابر،بيروت،مج1977،1م.
9. الدرعي أبو العباس احمد بن محمد بن ناصر: **الرحلة الناصرية 1709-1710م**، تح.وتق: عبد الحفيظ ملوكي، ط1، دار السويد للنشر والتوزيع، ابوظبي،2011م.
10. رولفس غيرهارد: عبر أفريقيا ،رحلة من البحر إلى بحيرة تشاد وإلى خليج غنيا، تر وتق: عماد الدين غانم ، دط، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ،ج1،دت.
11. السجلماسي أبي العباس الهلالي: رحلة التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم: قطعة من رحلة ابي العباس الهلالي السجلماسي المتوفي 1175هـ،دراسة وتح: محمد بوزيان بنعلي،دط،د دن، دم ن ،دت.
12. العياشي عبد الله بن محمد أبوسالم: الرحلة العياشية 1661-1663م،تح:سعيد الفاضلي وسليمان القرشي ،ط1،دار السويد للنشر والتوزيع ،أبوظبي،مج1 ،2006م.

13.فيرو شارل: الحوليات اللبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي تر.و تح: محمد عبد الكريم الوافي، ط3جامعة قاز يونس، بنغازي، 1994م.

14.كربخال مرمول: أفريقيا ،تر:محمد حجي ومحمد زنبير وأحمد توفيق، دط، دار المعرفة للنشر والتوزيع،ا لرباط،1982-1989م،ج3.

15.مويط:رحلة الأسير مويط، تر:محمد حجي ومحمد الأخضر، دط، د دن، د م ن، دت.

16.الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،تح وتع: جعفري الناصري ومحمد الناصري ،دط، دار الكتاب ، الدار البيضاء،ج5 ،1997م.

17.هايدو فراي ديقو: تاريخ ملوك الجزائر ،تر: لؤي عبد العزيز الأعلى ، دط، دار الهدى، الجزائر، دت.

18.الوزان حسن بن محمد الفاسي: وصف أفريقيا ،تر :محمد حجي ومحمد الأخضر ،ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،،ج1،ج2.دت.

19.اليفرني محمد الصغير :روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف ،تح:عبد الوهاب بن المنصور ،ط2،المطبع الملكية ،الرباط،1415هـ/1995م.

2- المراجع العربية والمعرّبة.

1. الإدريسي عبدالله حمادي: الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات ،ط1،دار الكتاب الملكي، الجزائر ،1434هـ/2013م.
2. أعفيف محمد:توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها،ط1،مطبعة أبي رقاق للطباعة والنشر ،الرباط،2014م.
3. بالحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر،1981م.
4. بالحاج بن باحمد ناصر: النظم والقوانين العرفية بواد ميزاب في الفترة الحديثة، تق: إبراهيم بن بكير بحاز، جمعية تراث، غرداية،الجزائر، 1439هـ،2018م.
5. بفايفر سيمون : مذكرات أولمحة تاريخية عن الجزائر ،تق وتع: أبوالعيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1974م.

6. بلعالم الشيخ محمد باي :الرحلة العلية إلى منطقة توات ،دط،د دن،ج2،دت،نسخة مصورة.
7. بلعالم الشيخ محمد باي :الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني ،دار هومة. دت.
8. بن العربي الصديق :كتاب المغرب ،ط3،دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان،1404هـ/1984م.
9. بن خروف عمار: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م،دط،دار الأمل للطباعة والنشر،ج2،دت2008.
10. بوسليم صالح :إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12-13هـ/18-19م،ط1،مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر،1440هـ/2019م.
11. بوعزيز يحي : تاريخ افريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 الى مطلع القرن 20م،دط،دا ر البصائر, الجزائر, 2009م.
12. بوعزيز يحي : مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ،ط خ،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر،2009م.
13. تشايجي عبد الرحمن : الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى, مر: محمد الاسيطي, تر: علي اعزازي تق: محمد الطاهر، منشورات مركز دراسة جهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي، طرابلس 1982م.
14. جمعة محمد علي : المكاييل والموازيين الشرعية،ط2، القدس للإعلان والنشر والتسويق ،القاهرة،2001م.
15. حوتية محمد الصالح: آل كنتة، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين12-13هـ،ط1،دار الكتاب العربي،الجزائر2008م.
16. حوتية محمد الصالح: توات والأزواد ، دار الكتاب العربي،الجزائر،ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر2007.
17. رجب ضياف نجمي: مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن 19م،دط،مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية ،ليبيا،1999م.

18.رجب نصير الأبيض :مدينة مرزق وتجارة القوافل خلال القرن التاسع عشر ،دراسة في التاريخ السياسي والإقتصادي،ط1،مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية ،طرابلس،1998م

19.رجب نصير الأبيض: طرابلس الغرب في كتابات الرحالة خلال القرن19م،ط1،مركز جهاد الليبين للدرسات التاريخية ،طرابلس،دت.

20.روسّي إتّوري :ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م،تروتق:خليفة محمد التليسي،دط،الدار العربية للكتاب ،طرابلس،1973م.

21.زبادية عبد القادر: دراسة في أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ،الجزائر ،دت.

22. الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، في الفترة مابين1792-1830م،ط3،دار الحكمة،الجزائر،2014م.

23. سعد زغلول عبد الحميد ،محمد عبد الهادي شعيرة، محمود حسن عطية السعران، نبيلة محمد حسن: الرحلة العياشية-ماء الموائد-،ليبيا،طرابلس،برقة،،منشأة المعارف،الإسكندرية،1996م.

24.سعيدوني ناصر الدين وبوعبدلي الشيخ المهدي: الجزائ((ر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984 م.

25.سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية : الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في أواسط القرن 19م،دط،دار البصائر الجديدة ،الجزائر،2019م.

26.سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث،ط2،دار البصائر ،الجزائر ،2009م.

27.شيت خطاب محمود: قادة فتح المغرب العربي ،ط7،دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع،ج1، 1404هـ/1984م.

28.ضيف شوقي : عصر الدول والإمارات ،الجزائر والمغرب الأقصى ،موريتانيا ،السودان،ط1،دار المعارف،القاهرة،1995م.

29. الطاهر أحمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ،ط1،مكتبة النور ،ليبيا،1388هـ/1968م

30.الطاهر أحمد الزاوي :ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي ،ط1،دار الفتح للطباعة والنشر،بيروت ،1390هـ/1980م.

31.العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت.

32.فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18-19م،دط،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1977م.

33.القشاط محمد السعيد : التوارق عرب الصحراء الكبرى،ط2،مركز دراسات وابحاث شؤون الصحراء ،القاهرة،1989م.

34.كروم عبد الله : الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية أدبية للرحالات المخطوطة بخزائن توات، عاصمة الثقافة العربية، دحلب، 2007م.

35.كورو فرانشيسكو: ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني ،تع وتق: خليفة محمد التليسي ،دط، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس،1984م.

36.لكحل الشيخ :مقاومة منطقة الشعانبة للاستعمار الفرنسي 1851.1908م،ط1،دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، غرداية،2019م.

37.محرز أمين: الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671م،دط،دار البصائر الجديدة،الجزائر،دت.

38.محمد عبد العزيز سيدي عمر :قطف الزهرات من أخبار علماء توات ،دط،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1985م.نسخة مصورة.

39.محمد فاضل علي باري و سعيد إبراهيم كريدية : المسلمون في غرب أفريقيا –تاريخ وحضارة- ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،2007م.

40. المدني أحمد توفيق: جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، دط، د دن، دم ن،دت.

41.المدني أحمد توفيق:كتاب الجزائر،دط،د دن،دم ن،دت...

42.مقدم مبروك :الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية ،دط،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران ،2004م.

43.مقلاتي عبد الله و رموم محفوظ :دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلامية والثقافة العربية بأفريقيا الغربية، ط1، الشروق، 2009م.

44.نقولا زيادة: أفريقيا ،دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي،ط1،رياض الريس للكتب والنشر،لندن،1991م.

45.الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 الى بداية القرن19م،ط1 ،الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة،1999م.

2- المراجع الأجنبية:

1- Cartte : Du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les états barbaresques: réponse à la note de M. Jules de Lasteyrie ... sur le commerce du Soudan, Paris,1844.

2- Daumas : Le grand désert, ou Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des Nègres (royaume de Haoussa), Paris, 1848

3- Daumas : Le Sahara algérien : études géographiques, statistiques et historiques, Paris ,1845.

4- Henei Duveyrier : Les Touareg du Nord, Paris ,1864

3.المذكرات والرسائل والأطاريح الجامعية:

1. بلخضر نفيسة :مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن 19م،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف: بوسليم صالح ،جامعة غرداية ، قسم التاريخ ،2015 -2016م.

2. بن ساعو محمد : التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن 7-10هـ/13-15م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، اشراف مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014م،

3. بوترعة علي : القوافل التجارية ودورها في العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب ومنطقة السودان جنوب الصحراء ،خلال القرنين 18-19م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، إشراف :بوصفصاف عبد الكريم ،الجامعة الأفريقية العقيد أحمد دراية ،أدرار ،2009-2010م.

4. بوسعيد أحمد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني 1518-1830م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف: محمد حوتية ، جامعة محمد دراية ، أدرار ،2017 -2018م.
5. جاحوا حسين: دور غدامس التجاري ما بين طرابلس والسودان الأوسط والغربي خلال 1850-1881م،بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة ، إشراف عبد القادر زبادية ،جامعة الجزائر، قسم العليا،1981م.
6. حفيان رشيد : الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية واثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م,،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف خليفة حماش، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013-2014م.
7. ذكار أحمد :حاضرة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي 1000-1301هـ/1591-1883م،مذكرة ماجستير في التاريخ الأفريقي الحديث والمعاصر، إشراف:محمد الصالح حوتية، جامعة أدرار، قسم التاريخ،2009-201م.
8. زقب عثمان : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة واد سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف: يوسف مناصرية، جامعة الحاج لخضر،باتنة، 2005-2006م.
9. سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 8-10هـ/14-16م ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ،إشراف: بودواية مبخوت، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ وعلم الأثار ،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ،الجزائر،2011-2012م
10. هرباش زاجية :الوضع في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 18-19م،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشرف :نعيمة عبد المجيد ،جامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الأثار،2011-2012م.
11. **– الامام رشاد:سياسة حمودة باشا في تونس 1782–1814، رسالة مقدمة لنيل متطلبات الدكتوراة في الفلسفة ،الجامعة الأمريكية ،بيروت،دت،**

4– المقالات والمجلات والملتقيات والدوريات:

1. أبو القاسم إبراهيم :مركز طرق القوافل بين شمال أفريقيا ووسطها ،ضمن ندوة التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر العصور ،مكتبة تاريخ وأثار دولة المماليك ،القاهرة ،1441هـ/2000م.
2. بختاوي قاسمي :القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام ، مجلة العلوم الاجتماعية ، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ،ع4 ، برلين –المانيا ،جوان 2018م.
3. بشار قويدر: القوافل التجارية المغاربية –طبيعة التجارة وأثارها- ،ضمن كتاب طريق القوافل ،المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الأنسان والتاريخ ،الجزائر ،2001م.
4. بلحاج ناصر : جوانب من المعاملات المالية بوادي ميزاب في القرن18-19م من خلال دفاتر بعض التجار ،أعمال الملتقى الوطني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 18-19م من خلال المصادر المحلية 24-25جانفي2012م.
5. بلقاسم خليفة :واقع النشاط الاقتصادي لمجتمع واد سوف خلال القرن19م،أعمال الملتقى الوطني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 18-19م من خلال المصادر المحلية،24-25جانفي 2014م.
6. بن صغير حضري يمينة : الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري من القرن 4هـ/10م الى القرن 11هـ/ 17م، مجلة الواحات والبحوث والدراسات، ا لمركز الجامعي غرداية، قسم العلوم الانسانية، ع16،الجزائر،2012م.
7. بوسليم صالح و بالحاج أوزايد: تجارة القوافل بين الجزائر وافريقيا جنوب الصحراء في العهد العثماني ودورها الحضاري، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع 2، 2017م.
8. بوسليم صالح وعلون عبد القادر: تجارة القوافل الصحراوية بين الجزائر وطرابلس الغرب، مجلة الحوار المتوسطي، ع2، الجزائر، ديسمبر 2017م.
9. بوصفصاف عبد الكريم : التجارة الخارجية الجزائرية في العهدين العثماني والفرنسي، ضمن كتاب ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر العصور، مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك،القاهرة،1421هـ/2000م.

10. بولقطيب الحسن: المصامدة والنشاط التجاري إلى حدود قيام الدولة الموحدية، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ ،جامعة الحسن الثاني ،كلية الأدب والعلوم والإنسانية ،الدار البيضاء، ج2،21 23 فيفيري1989م.
11. التكتيك أمحمد جميلة: العملات والسلع المتداولة في تجارة القوافل بين طرابلس الغرب وبلاد السودان الغربي في العهد العثماني الثاني، مجلة كلية الأدب ،جامعة طرابلس ،كلية الأدب، ع13، 2010م.
12. جعفري مبارك :علماء منطقة توات وتأثيرهم في السودان الغربي خلال القرن12هـ/18م ندورية الكان التاريخية ،دار ناشري للنشر الإلكتروني ،السنة 5، ع16،الكويت ،2012م.
13. حساني مختار :الأحوال الثقافية والسياسية للجنوب الجزائري من خلال رحلة الدرعي ،ضمن كتاب طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، الجزائر ،2001م.
14. حفيان رشيد: آمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني، مجلة الكان التاريخية، ع27، مارس 2015م، جمادى الأول 1436هـ
15. حينوني رمصان: معاملة الأجنبي بمنطقة الساورة في القرن 19، قراءة في مذكرات الرحالة غيرهارد رولفس،مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي تامنغست، ع42،الجزائر،2018م.
16. زبادية عبد القادر: ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري ، مجلة الأصالة التاريخية الثقافية، ع41،،الجزائر ،1971-1981م.
17. السر سيد أحمد العراقي :تجارة القوافل بين الشمال وغرب أفريقيا وأثارها الحضاري ،ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى القرن 19م. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1404هـ/1984م.
18. سعيدوني ناصر الدين: ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني ،مجلة الأصالة التاريخية الثقافية ع41،الجزائر،1971-1981م.
19. سياب خيرة: رحلة الصحراء لابن الدين الأغواطي المعروفة بالرحلة الأغواطية ، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران1، العدد13، جوان 2015م

20.شعباني بدر الدين : دور رحلات الحج في الفكر العسكري لدى الأمير عبد القادر الجزائري، مدينة الزمالة نموذجا، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية ، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 2، ع10، الجزائر، 2019م.

21.طموح زهرة: تنظيم القافلة خلال القرن 19م، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع عبر تاريخ المغرب ،ج2،جامعة الحسن الثاني ،كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء ،21-23فيفري 1989م.

22.عبد الشبلاوي سلمى عبد الرزاق :مدينة غدامس النشأة والتطور العمراني، دراسة في جغرافية المدن،جامعة كربلاء ،كلية التربية للعلوم الإنسانية.

23.عماري الحسين : دور القوافل الصحراوية في التجارة بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث، مجلة العصور الجديدة، ع19-20، جامعة وهران 01، أكتوبر، 2015م.

24.عوض الله الشيخ الأمين: تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر، ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن19م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية،بغداد،1404هـ/1984م.

25.قدوري عبد الرحمن : تجارة القوافل عبر الصحراء بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال نهاية العصر الوسيط، مجلة متون ، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعدية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،مج11، ع1، 1افريل219م

26.القعود زكية بالناصر : دور القوافل التجارية في التفاعل الثقافي بين ليبيا والمغرب العربي وما وراء الصحراء والسودان في العصر الوسيط، مجلة أفاق الثقافة والتراث ،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،السنة 22، ع1435،86هـ/2014م.

27.كرزيكة علي: أثر القوافل التجارية على صناعة الكتاب المخطوط بإقليم توات ،مجلة أفاق علمية، المركز الجامعي تمنغست، ع2،الجزائر،2017م.

28.الكعبي حسين هاشم ناصر :إقليم توات؛ دراسة في أوضاعه العامة حتى القرن12هـ،مجلة كربلاء،قسم التاريخ ، ع2016،1م.

29.محمد الكبير فقيقي: الدور الاجتماعي والاقتصادي للقوافل التجارية والحجية بالصحراء الجزائرية أثناء الفترة الحديثة، مجلة دراسات، جامعة طاهري محمد بشار ،الجزائر ،ديسمبر2015م.

30.مولاي أحمد :التجارة والرحلة ودورهما في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الأفريقي ما بين القرنين 11-12هـ/18/17م ، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية ،كلية الأدب والعلوم الإنسانية ،جامعة نواكشط، ع5، موريتانيا ،2015

31.هقاري محمد :دور منطقة الهقار في تجارة القوافل الصحراوية مابين القرن 17-18م،مجلة الأفاق العلمية ،المركز الجامعي تامنغست ،الجزائر ، ع11،جوان 2016م.

32.يوشع بشير قاسم :العلم والعلماء بغدامس في عصر ابن غلبون ،مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ع1983م.

5- الموسوعات والمعاجم العربية:

1. ثامي يحي: موسوعة المدن العربية والإسلامية،ط1،دار الفكر العربي،بيروت،1993م.
2. حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية ،دط،دار الهدى ،الجزائر ،ج2011،5م.

حساني مختار: موسوعة وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب،ط2،دار الحكمة،الجزائر،مج2، ،2007

فهرس المحتويات

قائمة المختصرات

الإهداء

الشكر والتقدير

المقدمة.....(1-9)

الفصل التمهيدي: التعريف بأهم المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والجزائر وطرابلس الغرب.....(11-24)

المبحث الأول: اهم المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الاقصى.....11-13

1. تافيلالت(سجلماسة قديما).....11-12

2. فقيق.....12-13

المبحث الثاني :اهم المدن والحواضر الصحراوية الجزائرية.....13-19

1.توات.....13-16

2. بسكرة.....16-17

3. ورقلة(ورجلان).....18-19

المبحث الثالث: أهم المدن والحواضر الصحراوية بطرابلس الغرب.....19-24

1.غدامس.....19-22

2.غات.....22-23

3.مرزق.....23-24

خلاصة الفصل.....24

الفصل الأول: قوافل التجارة الصحراوية في بلاد المغاربة وأهم مسالكها.....26-49

المبحث الأول: القافلة وتنظيمها.....26-36

أولا: انواع القوافل.....26-30

1.القوافل التجارية.....26-28

2.قوافل ركب الحجيج.....29-30

ثانيا: مكونات القافلة وهيكلتها.....30-33

أ-المكونات البشرية.....30-32

1.الدليل.....30-31

2.الحراس.....31-32

3.الوكلاء.....32

4.الشواف.....32

5.الطبيب.....32

6.الخوجة(الكاتب).....32

7.البراح.....32

8.المؤذن.....32

9.الإمام.....32

10.الفقيه.....33

ب:المكونات الحيوانية.....33

1.الجمال.....33

2.الخيل والبغال.....33

ثالثا: تنظيم القافلة.....34-36

1.عدد الجمال.....34

2.تجهيز القوافل.....34-35

3.نظام سيرها.....35

4.وصول القافلة.....35-36

المبحث الثاني: المخاطر والصعوبات التي تواجه القوافل ودور القبائل الصحراوية في تجارة القوافل وأهم الحلول.....36-43

أولا: المخاطر والصعوبات.....36-40

1.إنعدام الأمن.....36-38

2.قلة الماء.....38-39

3-العواصف والرياح.....39

4-التيه في الصحراء.....39-40

ثانيا: دور القبائل الصحراوية في تجارة القوافل وأهم الحلول والإجراءات المتخذة ضد المخاطر التي تواجه القوافل.....40-43

أولا: دور القبائل الصحراوية في تجارة القوافل.....40-42

ثانيا: أهم الحلول والإجراءات المتخذة ضد المخاطر.....43

المبحث الثالث: الطرق والمسالك التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية المغاربية.....44-48

أولا: الطرق الرابطة ابن المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والحواضر الصحراوية الجزائرية.....44-45

1.طريق فقيق- بسكرة.....44

2.طريق تافيلالت-بسكرة-ورقلة.....44

3.تافيلالت-توات-ورقلة-تقرت.....45

ثانيا: الطرق والمسالك الرابطة بين المدن والحواضر الصحراوية الجزائرية والليبية.....45-47

1.طريق واد سوف –غدامس.....45-46

2.طريق ورقلة –غدامس.....46

3.طريق وادسوف-غات.....46

4.طريق تقرت- غدامس.....47

5.طريق عين صالح –غات.....47

6.طريق عين صاح –غدامس.....47

خلاصة الفصل.....48-49

الفصل الثاني: المبادلات التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية المغاربية.....51-72

المبحث الأول: أهم الأسواق التجارية .....51...-60

أولا: أهم أسواق المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى.....51-52

1.سوق تافيلالت.....51-52

2.سوق فقيق.....52

ثانيا: أهم أسواق المدن والحواضر الصحراوية الجزائرية.....53-58

1.سوق ورقلة.....53-54

2.سوق الوادي.....54

3.سوق وادي ميزاب.....55-56

4.سوق تقرت.....56

5.أسوق توات.....56-58

ثالثا: أهم المدن والحواضر الصحراوية بطرابلس الغرب.....59-60

1.سوق غات.....59

2.سوق مرزق.....59-60

3.سوق غدامس.....60

المبحث الثاني: أساليب التعامل التجاري.....61-67

أولا: العملة والمقايضة.....61-64

1.المقايضة.....61-62

2.العملة.....63-64

ثانيا: المكاييل والمقاييس والموازين.....64-67

1.المكاييل.....65-66

2.المقاييس.....66-67

3.الموازين.....67

المبحث الثالث: السلع المتبادلة بين والحواضر الصحراوية المغاربية 68-72

أولا: السلع المتبادلة بين المدن والحواضر الصحراوية الجزائرية والمغربية.....68-69

1.الصادرات.....68

2.الواردات.....69

ثانيا: السلع المتبادلة بين المدن والحواضر الصحراوية الجزائرية والليبية.....70-72

1.الصادرات.....70

2.الواردات.....71-72

خلاصة الفصل.....72

الفصل الثالث: أثار حركة القوافل التجارية على المدن والحواضر الصحراوية المغاربية.....74-88

المبحث الأول: الأثار الإقتصادية.....74-77

أولا: الشغل.....74

ثانيا: المبادلات التجارية.....74-76

ثالثا: توفير رؤس الأموال وتحقيق الأمن الغذائي.....76-77

المبحث الثاني: الأثار الثقافية.....77-85

أولا: نشر الإسلام.....77-81

ثانيا: رواج الكتب والمخطوطات.....81-82

ثالثا: نقل العلماء.....83-85

المبحث الثالث: الأثار العمرانية.....85-88

أولا: نمو وتطور العمران.....86-87

ثانيا: حفر الأبار.....87-88

خلاصة الفصل.....89-90

الخاتمة.....92-94

الملاحق 95-105

ثبت المصادر و المراجع 107-117

فهرس المحتويات.....119-125

الملخص

عنوان المذكرة: العلاقات التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والجزائر وطرابلس الغرب خلال القرن 18م-12هـ/وبداية القرن 19م-13هـ.

الملخص بالعربية:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور المدن والحواضر الصحراوية المغاربية في تجارة القوافل الصحراوية ومحاولة معرفة العلاقات التجارية بين هذه الحواضر ،وإبراز الدور الحضاري للقوافل التجارية على هذه الحواضر. في محاولة بناء صورة عن العلاقات التجارية بين المدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والجزائر وطرابلس الغرب ،انطلاقا من الوسيلة الأساسية لعملية التبادل التجاري المتمثلة في القوافل التجارية.

وخلص البحث إلى التأكيد على أهمية دور الموقع الاستراتيجي للمدن والحواضر الصحراوية بالمغرب الأقصى والجزائر وطرابلس الغرب، الذي أدّى دورا بارزا في ازدهارها اقتصاديا وحضاريا، وذلك باعتبارها همزة وصل بين الشمال والجنوب ،ولوقوعها على الطرق التجارية المؤدية إلى بلاد السودان ؛ لأنها كانت محطات استراحة لقوافل الحج التي تتوقف فيها للاستراحة أو للتزود بالبضائع والمتاجرة مع الأهالي.

الكلمات المفتاحية: القوافل التجارية؛ التجارة العابرة للصحراء؛ مراكز التبادل التجاري؛ بلاد المغرب العربي الحديث؛ الصحراء الإفريقية الكبرى؛ إفريقيا جنوب الصحراء ؛ العلاقات التجارية.

Abstract:

This study aims to show the role of Maghreb Saharan cities and capitals (in Furthest Morocco, Algeria and Western Tripoli) in the trade of Saharan caravans and tries to know the commercial relations between these cities and the cultural role of the Saharan caravans on them.

The research concluded that the Saharan cities in Morocco, Algeria and Western Tripoli have had a strategic location as they were considered a link between North and South. They locate on the commercial roads leading to Sudan. In addition, they were rest-areas for pilgrimage caravan that used to stop there to repose, supply goods and have trade with local people. All these factors played an important role in their economic and cultural development.

Key words:

Commercial caravans, cross-Saharan commerce, commercial exchange centers, Modern Maghreb, Saharan Africa, Sub-Saharan Africa, commercial relations.